الفصل الخامس

انطلاق الثورة ....
ومقتل العائلة المالكة

◆◆◆

obeikandl.com

obeikandl.com

في تمام الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم الإثنين الموافق ١٤/ تموز/ ١٩٨٥. كان معظم أهالي بغداد ما يزالون يغطون في نومهم على سطوح دورهم مستمتعين بهواء الصباح العليل من أيام شهر تموز الملتهب .. وقد شرعت بعض الدكاكين «المحلات» تفتح أبوابها باكراً كدكاكين الخبازين وأصحاب محلات بيع المواد الغذائية.

وبدأ شارع الإمام الأعظم الذي يربط ما بين ناحية الأعظمية وبغداد خالياً من المارة .. ما عدا سيارات باصات مصلحة نقل الركاب التي باشرت الحركة من الساعة الخامسة حسب مواعيدها.

وفي منطقة الكسرة أي منتصف الطريق بين الأعظمية وبغداد .. كان البلاط الملكي يبدو هادئاً، وجندي حرس الباب النظامي يسير كعادته متنكباً بندقيته أمام الباب الخارجي، وكذلك كانت الحال في منطقة باب المعظم: أول مدخل مدينة بغداد التي كانت هادئة جداً، إلا من عدد يسير من المارة الذين خرجوا إلى مصالحهم في تلك الساعة المبكرة من الصباح.

احتلال وزارة الدفاع

وعلى مسافة ٤٠٠ متر من منطقة باب المعظم تقع مباني وزارة الدفاع العراقية، حيث كانت هناك الحركة على أشدها وعنفوانها .. فقد ربض في الباب النظامي للوزارة صف طويل من سيارات اللوري العسكرية، يقف إلى جانبها جنود بملابس القتال، وبكامل أسلحتهم، وقد طرزت على أكمام قمصانهم العسكرية إشارة فرقة المشاة الثالثة.

وفي داخل الباحة الخارجية لمبنى الوزارة كان عدد من الجنود يهرولون ويركضون في أنحاء مختلفة لإتمام السيطرة على مبنى الوزارة كاملاً، وبالفعل ففي

أقل من نصف ساعة تقدم ضباط الفوج الثالث من لواء المشاة العشرين .. وأدوا التحية للعقيد عبد اللطيف الدراجي آمر الفوج، وأخبروه بأنهم أكملوا احتلال مبنى الوزارة كله.

وعلى مسافة ٤٠٠ متر أخرى من المبنى حيث يقع الباب الجانبي للوزارة .. اصطفت في شارع الرشيد أرتال من سيارات الجيب العسكرية، وقد بدت إشارات وعلامات لواء المشاة العشرين من الفرقة الثالثة واضحة على جوانب تلك السيارات.

ومن الطرف الثاني من الشارع كان رتل سيارات يتقدم بصورة جد سريعة قاصداً وزارة الدفاع، ورغم تلك المظاهرات العسكرية في الشارع إلا أن المدنيين الذين كانوا يسيرون على الأرصفة هنا وهناك لم يستطيعوا أن يميزوا بين معالم الشارات العسكرية للواء المشاة العشرين التي تصول وتجول في الوزارة والشارع، وبين الشارات العسكرية لوحدات المقر العام وموقع بغداد؛ وغالباً ما اعتقدوا بأن ما يرونه من أرتال عسكرية أمامهم هو شيء طبيعي، ومادامت هذه الأرتال تقف في باب وزارة الدفاع.

وإلى مسافة أخرى في الشارع، حيث توجد استدارة تؤدي إلى جسر المأمون الذي يربط ما بين بغداد الرصافة .. وبغداد الكرخ .. كان رأس الجسر قد تم مسكه بفصيل مشاة بإمرة ضباط برتبة ملازم ثان، راح يمنع السيارات العسكرية من العبور إلى جهة جانب الكرخ .. كما يمنع الضباط والمراتب الراجلين من العبور أيضاً ويكتفي بالقول .. إنه أمر عسكري.

وإلى خلف هؤلاء الجنود وقف عدد من الأهالي الذين يشاهدون لأول مرة جنوداً مسلحين ومرتدين ملابس القتال يمنعون الناس من عبور الجسر. وقد وقف

رجال الشرطة المحلية يتفرجون على تلك المناظر، وقد شدوا من قاماتهم استعداداً لتحية الضباط الذين قد يمرون من أمامهم ..!

وفي نفس الحالة السابقة تكررت في ثاني جسر في بغداد .. جسر الملك فيصل الثاني .. أما الجسر الثالث .. جسر الملكة عالية .. فقد كان ممسوكاً بفصيل أيضاً بإمرة ضابط صف بدا غاية في اللطف، وهو يعتذر من ضباط وحدات بغداد بعدم عبور الجسر.

إلا أن خلف قوة جسر الملكة عالية .. كانت تقف أعداد أكبر من الناس .. تتفرج .. ولا تدري أي معنى لما تراه أمامها.

القصر يتسلم الإبلاغ الأول عن الانقلاب:

يقول النقيب فاضل حنظل الذي كان يراقب الموقف بصفته من الحرس الملكي الخاص للالتحاق بعمله ذلك اليوم كانت الساعة تناهز السادسة تقريباً .. عندما كنت أرفع سماعة الهاتف الموجودة في فندق سميراميس في قلب شارع الرشيد في بغداد .. وأدير أرقام الهاتف على بدالة القصور الملكية وجاءني صوت موظف البدالة هادئاً ساكناً كعادته .. حيث طلبت منه أن يصلني برئيس خفر الثكنة.

وبعد لحظة جاءني صوت النقيب سالم رشيد: رئيس الخفر الذي بدا صوته طبيعياً جداً وهو يبادلني الكلمات الأولى، وهنا، تيقنت أنهم لم يدروا بشيء، ولم يشعروا بما يحدث في بغداد، حتى تلك الساعة.

وأنبأته أن وحدات لواء المشاة العشرين قد سيطرت على بغداد، وأن انقلاباً حدث، فلم يصدق الضابط كلامي. وأغلقت سماعة الهاتف على أمل أن أقوم باستطلاع كاف لما يحدث في مناطق بغداد الأخرى.. لأتصل بالفوج ثانية.

كانت بغداد قد أخذت في الاستيقاظ من نومها، إلا أن معظم شوارعها كانت ما تزال خالية، وبدا شارع غازي- 'لكفاح فيما بعد – وبقية مناطق بغداد هادئة تماماً، ولا حركة غير اعتيادية فيها .. وكان السكان ـ ولا خلاف ـ لا يدرون ماذا يحدث في شارع الرشيد الآن.

وفي حوالي الساعة السادسة وعشر دقائق، كنت أطرق باب بيت آمر فوج الحرس العقيد طه البامرني، فعلمت بأن العقيد ينام في الثكنة منتظرًا أهله إلى خارج بغداد.

وأدرت قرص الهاتف على بدالة القصور وجاءني صوت موظف البدالة هادئاً كالسابق، فطلبت الاتصال بآمر الفوج رأساً، فجاءني العقيد طه وأخبرته بأنني موجود في بيته، وشرحت له الوضعية كلها في بغداد .. وكان العقيد يستمع إلي دون أن يقاطعني .. ولم يستزدني استفساراً عن الموضوع، وأخبرته بأنني سأذهب للتو إلى بيتي لأستلم مسدسي، ولأغير ملابسي العسكرية بملابس مدنية، كي أتمكن من التوجه إليهم دون أن توقفني نقاط رؤوس الجسور.

وفي تلك الأثناء كانت شاحنة عسكرية تعود لفوج الحرس الملكي، وتقل النقيب عبد الرحمن محمد صالح آمر إحدى سرايا الفوج، والذي كان مكلفاً بأن يكون آمر قطعة حرس الشرف التي ستؤدي التحية وداعاً للملك في المطار.

كانت الشاحنة قد وصلت إلى جسر المأمون لتعبر النهر متجهة إلى جهة القصور الملكية، عندما أوقف الضابط الملازم من لواء العشرين شاحنة الحرس، وأخبر ضابط الحرس بأن لديه أوامر بمنع مرور أية ناقلة عسكرية إلى جانب الكرخ.

ولما كان النقيب عبد الرحمن مسرعاً ليأخذ قطعته مبكراً إلى المطار، فقد قال لضابط لواء العشرين بأن لديه مهمة عسكرية أهم من مهمته، وأنه سيعبر الجسر .. وإذا أردت أن تطلق علي النار .. فأطلقها.

وهكذا .. وبدون أن يستفسر ضابط الحرس عن أسباب منعه من عبور الجسر .. أو يدقق أو يحقق بالموضوع؛ أمر السائق بالحركة .. فتحركت السيارة وعبرت الجسر متجهة إلى قصر الرحاب حيث لم يشاهد النقيب عبد الرحمن أية حركة غير اعتيادية على طول الطريق من الجسر إلى القصر. وبالفعل دخل الضابط إلى قصر الرحاب وأمر جنود تشكيلة حرس الشرف بتهيئة ملابسهم للتفتيش قبل ارتدائها .. وهنا رن جرس الهاتف في مقر سرية قصر الرحاب، وكان المتكلم آمر الفوج من ثكنة قصر الزهور، وطلب من النقيب عبد الرحمن أن يعطيه صورة عن الموقف في بغداد. وعندما كان الاثنان يتحدثان عبر الهاتف، كنت أدير أرقام هاتف القصور الملكية من داري، وجاءني جواب موظف البدالة الذي كان متغيراً هذه المرة، وقال لي بلهجة قلقة يطلب إلي أن أخبره بما يحدث في بغداد إذ وردته إشارة من المقدم جواد الكناوي أحد مرافقي الأمير بأن يبلغ الأمير بأن ثمة إطلاق نار على قصر نوري السعيد، وعندما كنت أبلغ آمر الفوج بأنني في الدار وسوف أتوجه إليهم في الحال، كان صوت النقيب عبد الرحمن على الجهة الثانية من الخط يؤكد لآمر الفوج بأنه لا يوجد أي شيء غير طبيعي في بغداد.

وسرعان ما انقطعت المحادثة الثلاثية بيننا .. ليأتي على الخط .. صوت الأمير عبد الإله، وبهدوء بالغ وصوت غير منفعل أبداً .. وبكلمات فيها الكثير من الثقة بالنفس .. طلب مني أن أبلغه بما يحدث في بغداد.

وشرحت له التفاصيل بالقدر الذي شاهدته، وأبلغته بأني سأصل إلى القصر في ظرف ربع ساعة .. وأغلقت سماعة الهاتف.

كانت بلدة الأعظمية ما تزال على غير علم بالحركة؛ إلا أن جسر الأئمة الذي يفصل ما بين بلدتي الأعظمية والكاظمية كان قد احتله ضابط صف وعشرة جنود؛

وراح ضابط الصف يحدق في السيارات العابرة، وهو يؤشر للمدنية منها بالعبور بيده التي كانت تحمل رشاشاً.

أما بلدة الكاظمية فكانت خالية الطرق من المارة. والطريق العام المسمى، (طريق الشالجية)، والذي يؤدي إلى المحطة العالمية حيث تقع المحطة المذكورة على بعد حوالي أربعة كيلومترات من قصر الرحاب. كان الطريق أيضاً خالياً.

أما معسكر الوشاش .. الذي يقع مواجهاً لقصر الرحاب تقريباً .. وكان جنوده قد انتهوا من تناول الحساء قبل المباشرة بالذهاب إلى ساحة العرض .. والقيام بالتدريبات العسكرية، ولم يبد أي أثر لحركة غير اعتيادية في المعسكر الهادئ؛ حيث وقف في البوابة النظامية .. الحارس لأول وبندقيته في يده، ووقف إلى جانبه آمر نقطة الحرس يتطلعان معاً إلى الشارع العام، إلا أنه اعتباراً من حافة المعسكر الشرقية .. والمواجهة لقصر الرحاب تقريباً .. وعلى طول الطريق الذاهب إلى منطقة القصور الملكية، وعلى مسافة كيلومتر واحد من مباني الرحاب، وإلى جانب الطريق وقفت ستة لوريات عسكرية انتشر إلى جانبها عدد من الجنود، وسائقي اللوريات، وقد اجتمعوا كل اثنين أو ثلاثة منهم بمجموعة يتحدثون فيما بينهم .. ولم يكن أي من أولئك الجنود مسلحاً.

وبعد اللوريات العسكرية .. وقفت سيارتا جيب، وقد ترجل منهما سائقهما .. ثم وقفت مقطورتان لعتاد المدفعية .. ثم مدفعاً ميدان عيار ٢٥ رطل، وقد كممت أفواههما بالسدود الواقية من التراب، ولم يتخذ المدفعان موضع رمي، بل لبثا إلى جانب الطريق .. مما يدل على أنهما كانا خاليين من العتاد والقنابل تماماً.

وإلى جانب المدفعين وقف ضابطان شابان برتبة ملازم ثان؛ وعلى مسافة بضعة أمتار من المدفعين كانت هناك ثلاثة لوريات عسكرية وسيارة بيك آب. كانت

المجموعة كلها تحمل إشارات لواء المشاة العشرين.

أما اعتباراً من أمام حديقة قصر الرحاب، أي من نقطة ابتداء الشارع الفرعي الذي يفصل ما بين قصر عبد الجبار وقصر الرحاب؛ فقد امتدت قوة تقدر بحوالي الأربعين جندياً على طول الرصيف للشارع العام .. وصوبت بنادقها باتجاه سور الحديقة الخارجي للقصر، وعلى مسافة تبعد حوالي خمسين متراً عن السور حيث يفصلهم عن القصر الحديقة العامة .. فالطريق الملكي الخاص؛ ثم الأسوار الخارجية للحديقة. وقد وضعت رشاشة برن واحدة مواجهة للباب النظامي لحديقة القصر، ووقف إلى خلفها النقيب منذر سليم أحد أمراء سرايا فوج المشاة الثاني، من لواء المشاة العشرين.

واعتباراً من النقطة التي وضعت بها رشاشة البرن، إلى حافة القصر اليسرى حيث تقوم مباني ثكنة الرحاب، وأمام مباني الثكنة والحرس نفسها .. فلم يكن أمامها جندي واحد من المهاجمين.

أما الطريق إلى قصر الزهور وإلى مقر وثكنة فوج الحرس الملكي .. فكان مفتوحاً.. حيث لم يقم آمر القوة المهاجمة بوضع قوة لمسك جسر الخر لسد طريق تقدم وحدات فوج الحرس لنجدة وحدات ثكنة الرحاب والقصر.

أما إلى الغرب من القصر، حيث تقع بعض المزارع والطرق والنياسم التي تؤدي إلى المطار المدني.

وهناك وضع آمر القوة المهاجمة حظيرة مشاة من عشرة جنود، بإمرة عريف لمسك ذلك الطريق المؤدي إلى المطار.

وإلى الساعة السادسة والربع تقريباً كانت القوة المهاجمة لقصر الرحاب من حيث موجودها غير كافية لأن تصمد أكثر من خمس دقائق أمام قوة حراسة قصر الرحاب فقط.

كما أنها بوضعها التعبوي الهجومي .. لم تكن تطوق إلا ثمن القصر فقط .. وتركت بقية القصر مفتوحة. كما أن اتخاذها وضع الرمي بالامتداد على الرصيف موجهة بنادقها إلى أسوار الحديقة الخارجية، بحيث لا تؤثر طلقاتهم إلا في السور الخارجي فقط، كان خطأ كذلك.

بداية الهجوم:

وفي حوالي الساعة السادسة والربع فتحت رشاشة برن المهاجمين نيرانها باتجاه القصر .. وأصابت رشقة الإطلاقات الأولى نوافذ غرفة نوم الأمير عبد الإله في الطابق الأول .. ثم كانت صلية ثانية حطمت زجاج النافذة الكبيرة في شرفة الطابق العلوي. ثم صلية ثالثة .. وكل صلية من أربع أو خمس إطلاقات، وهكذا أصيب حرس الباب النظامي لقصر الرحاب بالذهول وهم يسمعون طلقات الرصاص تفتح عليهم . وخرج الحرس الخمسة. ومعهم آمر نقطة الحرس .. ووقفوا يتطلعون مشدوهين إلى الجنود المهاجمين الذين امتدوا أمامهم على رصيف الشارع يطلقون النار عليهم.

ووقف الحارس الأول للباب النظامي .. وقد شد من قامته ليظهر عدم خوفه؛ وسلاحه بيده بالوضع الصحيح، وقد أدار جنبه الأيسر للقوة المهاجمة.

وعلى لعلعة رشقات الرصاص استفاق أهالي ضاحية الحارثية؛ ووقف بعضهم على سطوح منازلهم، ونزل بعض الصبية إلى الشارع يتطلعون بدهشة إلى الجنود وهم يطلقون النار على قصر الملك.

داخل القصر .. هلع واضطراب:

كان الأمير عبد الإله ما يزال في غرفة نومه .. وهو يكلم العقيد طه البامرني

ليستفسر منه عن الموقف .. عندما أصابت الصلية زجاج نافذته فحطمته؛ اضطر أن يطلب من طه أن يحضر على عجل لمقابلته، ووقف الأمير بباب غرفته وخرج الملك وهو ما يزال بملابس النوم، وخرجت الأميرات وتجمعن حول الأمير هلعات خائفات .. ووقف الجميع في البهو الداخلي للطابق العلوي، واتجه الأمير ووقف قرب النافذة يتطلع إلى القوة المهاجمة.

ثم طلب إلى الملك والأميرات .. ألا يبقوا في الحجرات الأمامية، وأن يذهبوا جميعاً إلى غرفة الملكة نفيسة والدته .. وأخذ الملك بيده .. ونزلوا إلى الطابق الأرضي.

استعدادات احترازية ووضع فوج الحرس بالإنذار:

وكان العقيد طه البامرني .. آمراً للفوج .. وآمراً للواء الحرس الملكي كله بالوكالة، وعندما تبلغ بأمر الحركة هاتفياً مني.. أمر مراسله بأن يذهب فوراً إلى المشاجب، ويجلب له مسدسه وجعبة العتاد.

وعندما كان يتمنطق بمسدسه .. أصدر أمره الإنذاري الشفهي إلى رئيس الخفر النقيب سالم رشيد بفتح المشاجب .. وتوزيع السلاح على السرايا .. وتهيئة الفوج .. حيث لم يكن قد وصل إلى الثكنة أي من الضباط بعد. وأبلغه أن يبقى إلى جانب الهاتف لاستلام الأوامر التي سيبلغها إياه بعد أن ينتهي من مقابلة الأمير.

باشر النقيب سالم بتنفيذ الأمر، حيث أصدر تعليماته إلى ضابط خفر الثكنة الملازم محمد أمين بفتح المشاجب وتوزيع السلاح .. وبالفعل قام الاثنان بفتح المشاجب، وتم توزيع السلاح على السرايا، وأخذت كل سرية سلاحها ولبس الجنود مشالح العتاد .. وهرولوا إلى جنب وأمام قاعات منامهم، وباشروا تنظيف وتزييت السلاح تحت إشراف ضباط صفهم .. وفيما كان العمل يجري آلياً كان

النقيب سالم رشيد قد اطمأن إلى الوضع، وذهب إلى غرفة مساعد آمر الفوج، وجلس قرب الهاتف بانتظار أوامر وتعليمات العقيد طه البامرني.

توجه العقيد طه من الثكنة إلى قصر الرحاب؛ وكان قد سبقه إلى القصر النقيب ثابت يونس المرافق الخفر في الليلة المنصرمة، حيث كان نائماً في قصر المرافقين القريب من ثكنة فوج الحراس. ودلف النقيب ثابت إلى داخل قصر الرحاب .. ليجد الملك والأمير مايزالان بملابس النوم .. وفي غرفة استقبال الأمير، الذي كان يمسك بسماعة الهاتف، ويحاول الاتصال برئيس أركان الجيش الفريق الركن رفيق عارف.

أما العقيد طه وقد توجه إلى ثكنة الرحاب حيث شاهد كلاً من الضابط النقيب عبد الرحمن محمد صالح، والملازم أول محمد رضا الرجيلي .. من ضباط كوكبة حرس الشرف. ثم أمر العقيد الملازم كاظم جبر ضباط خفر القصر بمرافقته، والتوجه معه إلى حيث مباني القصر، فسارا عبر الحديقة الجانبية والاسطبلات فالمرائب، وتوجها إلى مبنى القصر نفسه.

هجوم يعقبه سكون:

وفي خارج القصر .. باشر جنود القوة المهاجمة بإطلاق نيران بنادقهم باتجاه سور القصر الخارجي .. ومن المؤكد أن أولئك الجنود لم يكونوا مسلحين بأكثر من مشط عتاد واحد ذي خمس إطلاقات لكل جندي.

وفجأة توقف إطلاق النار من المهاجمين .. ولبثوا في أماكنهم لا يتحرك أحد منهم إلى محل آخر.

الملازم عبد الله مجيد:

كانت الساعة قد جاوزت السادسة والنصف صباحاً الآن، عندما توقف إطلاق

النار في تلك الفترة .. وكان موقف نقطة حرس الباب الخارجي النظامي للرحاب كما هو .. إذ ظل آمر نقطة الحرس النائب عريف عبد فهد حائراً .. لا يدري ماذا يفعل .. ولم يصدر أوامره إلى نقطته بالقيام بالرمي المعاكس .. بل بقى واقفاً؛ ثم انسحب إلى داخل غرفة الربيئة، يحاول أن يتصل هاتفياً بضابط الخفر .. أو آمر الفوج لاستلام الأوامر والتعليمات .. وبقى الحارس الأول للباب واقفاً مكانه .. بالوضع الصحيح للحراسة بدون حركة .. وعلى الشارع العام.. وخلف القوة المهاجمة وقفت سيارة مدنية ترجل منها الملازم أول عبد الله مجيد ضابط مفرزة تصليح آليات الحرس؛ وسار إلى حيث يقف آمر القوة المهاجمة وتكلم معه بضع كلمات، وقد بدا وجهه ضامراً نحيفاً تكسوه صفرة الخوف، وقد وضع يديه في جيبي بنطاله، ولم يكن مسلحاً أو مرتدياً بذلة قتال .. ولم يلبث أن عاد فاستقل سيارته عائداً من حيث أتى .. ولم يدر في خلدي، وأنا أقف وراء القوة المهاجمة لأستطلعها عن كثب، أن يكون عبد الله مجيد هو الذي أوصل السرية المهاجمة إلى مكانها ذاك أمام قصر الرحاب.

تقدير موقف:

وعلى طول الطريق سرت خلف القوة المهاجمة تماماً .. التي كانت قد توقفت عن الرمي .. وبقى جنودها ممتدين في أماكنهم .. بحيث قدرت بأن القوة .. إما أن تقوم بالهجوم على القصر الآن .. فتنتحر حتماً .. وإما أن يصدر آمر القطعة أوامره إلى الجنود بالانسحاب من موضعهم المغلوط هذا .. إلى موضع هجومي .. أو دفاعي صحيح.

وعندما وصلت في مسيري إلى موضع المدفعين الخمسة وعشرين رطلاً .. كانت المدافع ما تزال في مكانها .. ولا زالت مانعة التراب تكمم أفواهها . ومن البديهي أنه

لم يكن في مقطورات العتاد وطلقة مدفع واحدة، وكان هناك يقف زميل لي من الضباط يدخن لفافته بقلق ظاهر؛ وعندما شاهدني حياني وحييته .. وطلبت منه إيضاحات عن الموقف .. وعن سبب وجودهم هنا.

فقال وقد بدأ يتكلم بلهجة الواثق من النصر .. ونصحني أن أبقى معهم .. وأن لا أذهب إلى الفوج، فتركته دون أن يحاول أن يوقفني، ومررت بالسائقين الذين وقفوا على شكل مجموعات مع قسم من الجنود الذين بدوا، وكأن الأمر لم يكن يهمهم البتة، إذ كان بعضهم يحدث زملاءه وهم غارقون في الضحك.

الحديث بين عبد الإله والبامرني

والآن لنعد إلى داخل قصر الرحاب .. وصل العقيد طه، وبرفقته الملازم كاظم جبر إلى القصر ودلف رأساً إلى غرفة استقبال الأمير .. حيث كان الملك والأمير بانتظارهما، وكانا ما يزالان بملابس النوم؛ ووقف إلى جانبهما النقيب ثابت يونس ورأس العرفاء كاظم ضاحي من الحرس الخاص للأمير.

وطلب الأمير من العقيد أن يطلعه على الموقف بصورة دقيقة .. فأحاطه العقيد بجلية الموقف حسبما سمعه مني ومن غيري بالهاتف .. كما أخبره عن حجم القوة المهاجمة وكونها أقل من سرية مشاة واحدة، وعن مواضعهم أمام القصر .. وأبلغه بأنه وضع الفوج بالإنذار .. انتظاراً لأوامر وتعليمات الأمير حول الموضوع.

وكان الأمير يصغي إلى العقيد وهو يدخن لفافته؛ ثم قال بأنه علم بأن قصر نوري السعيد يتعرض للرمي كذلك .. وأنه حاول الاتصال به فلم يجب على الهاتف أحد .. وأن هاتف رئيس أركان الجيش لا يجاوب أيضاً .. وأن كافة هواتف وزارة الدفاع والبدالة لا تجاوب، ثم أصدر أمره للعقيد طه بأن يحاول أن يستطلع جلية الموقف بدقة في الخارج .. وأن يتخذ الاحتياطات الضروريةً .. وأن يحاول جاهداً الاتصال بضابط القوة المهاجمة ويستقدمه إلى داخل القصر للتفاهم معه.

خرج العقيد والملازم من غرفة استقبال الأمير .. لينفذا الأمر أعلاه، وبارح الملك والأمير غرفة الاستقبال وصعدا إلى الطابق العلوي حيث تجمعت النساء هناك عندما رن جرس الهاتف .. كان المتكلم الشريف حسين أحد أنسباء الملك الساكن في ضاحية المنصور قرب القصر، والذي حاول أن يستفهم جلية الأمر،

ليعلم سبب سماعه لعلعة إطلاقات نارية. فأجابه الملك بصورة مملوءة بالثقة بأن لا يخاف .. ولا يوجد شيء مهم، وأخبره بأنه سيرسل قوة إلى قصره للمحافظة عليه.

وفيما كان الأمير يحادث النساء بأن يتمالكن أنفسهم .. وأن الأمر لا يعدو مجرد حركة يقوم بها ضباط صغار، وأنه سينهي الحركة بشكل سلمي: وبدون أن يتعرض أي منهم للخطر، كانت والدته تكلمة باللغة التركية .. وتحثه على أن يستعمل العقل في معالجة الأمر .. وفي الأغلب الأعم كانت نساء الأسرة .. يحثثن عبد الإله .. على مغادرة القصر .. وترك العراق فوراً.

البيان رقم واحد

وبعد دقائق كانت الأسرة المالكة كلها تستمع إلى إذاعة بغداد .. وصوت المذيع الجديد العقيد الركن عبد السلام محمد عارف، وهو يعلن للشعب بشائر الثورة بالبيان (رقم واحد) مبشراً بقيام الجمهورية بقيادة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم.

وهنا .. حاول الأمير ثانية الاتصال برئيس الأركان. فلم يجده، إذ تم اعتقال الفريق الركن رفيق عارف في الساعات المبكرة من الصباح، وتمكن من الاتصال باللواء عبيد المضايفي الذي أبلغه بأنه سيقوم بالإشراف على تنفيذ خطة أمن بغداد بمساعدة قوات الشرطة، واتصل أيضاً بضابط استخباراته الخاص الذي علم بأنه توجه إلى طرفهم.

ورن جرس الهاتف ثانية في البهو الملكي، وكانت الهاتفة عقيلة أحد رؤساء الوزارات في العراق، وقد تكلمت مع الأميرة عابدية، وقالت لها بأن زوجها قد هرب .. وأن قصرهم يهاجم الآن، وأن السفارة البريطانية التي هي أمام قصرهم هدف للهجوم كذلك.

وطلبت إلى الأميرة أن يهربوا وأن يغادروا القصر فوراً، إذ أعلمتها بأن جموعاً غفيرة من الشعب قد ملأت الشوارع في تلك اللحظة.

أوامر بعدم المقاومة ومحاولة للتفهم:

استلم العقيد طه البامرني أوامر عبد الإله .. وأوعز إلى ضابط خفر قصر الرحاب بأن يأمر كافة نقاط الحراسة بعدم الرد على الرمي بالمثل. وهرول الملازم كاظم ضابط الخفر إلى مباني سرية الحراسة .. فالتقى بعريف خفر الثكنة العريف

حسن مطشر .. الذي كان قد ارتدى الخوذة الفولاذية وتمنطق بمسدسه. فأمره الملازم أن يتجول على نقاط الحراسة ويبلغهم عدم فتح النار.

وفي هذه الأثناء .. وصل العقيد طه أيضاً إلى مباني ثكنة الرحاب .. فوجد الضابطين عبد الرحمن محمد صالح ومحمد رضا الدجيلي واقفين مع جنود السرية الذين كانوا يهيئون ملابسهم الملونة .. ملابس حرس الشرف على أسرة منامهم لعرضها للتفتيش قبل ارتدائها.

فأوعز إلى النقيب عبد الرحمن أن يذهب إلى خارج الثكنة .. إلى الشارع ويتفاهم مع آمر القوة المهاجمة .. بشكل لطيف .. ويحاول أن يستعجله إلى داخل القصر ليتكلم معه الأمير.

وأوعز إلى الضابطين كاظم جبر ومحمد رضا الدجيلي بأن يشرفا على توزيع السلاح والعتاد على جنود قوة قصر الرحاب؛ وأن يرتدي الكل قيافة المعركة .. ويكونوا جاهزين في ساحة السرية انتظاراً لأوامره.

جمود الموقف:

وهكذا .. ففي حوالي الساعة ٤٠ ,٦ تجمد الموقف العسكري كله على الشكل التالي:

فوج الحرس الملكي .. استلم السلاح والعتاد .. وهو يقف على أهبة الاستعداد للقتال، وينتظر رئيس خفر الفوج – ومعه ضابط الخفر قرب الهاتف ليتلقي الأوامر التي سيصدرها إليهم العقيد آمر الفوج. أما سرية حراسة قصر الرحاب والقوة المرفقة بها فقد فتحت المشاجب وباشرت بتوزيع السلاح على الفصائل.

والقوة المهاجمة .. لاتزال في مكانها، وفي أحسن الأحوال، فإن عتاد جنودها قد نفد كله .. وفي خارج القصر .. كان أحد أفراد الشرطة التابعين لمركز شرطة جسر

الخر المواجه لقصر الرحاب يقف متفرجاً على المنظر وقد تجمع معه عدد من الأطفال .. وقسم من المارة وفلاحي المزارع الموجودة هناك، بينما وقف عدد منهم على شرفات سطوح منازلهم يتفرجون على ما يجري أمامهم.

وسألت الشرطي عما يحدث .. فقال لي أن ضابط المركز أخبر أفراد قوة الشرطة بأن ما يجري في قصر الرحاب .. مناورة يقوم بها جنود الحرس بالعتاد الحي. وقد أرسله الضباط إلى هنا ليستطلع جلية الأمر.

وقال طفل كان يقف إلى جانبي بأنه شاهد الأمير والملك يهربان عبر طريق المزارع الخلفية إلى المطار المدني.

وبينما توقف إطلاق النار .. كان الشارع العام يبدو اعتيادياً حيث كانت تمر من أمام القصر السيارات الأهلية .. وقد ألصق راكبوها وجوههم بالشبابيك يتطلعون إلى قصر الرحاب إذ لابد أنهم سمعوا بأنباء الانقلاب من المذياع.

وتوقف عدد من السيارات المدنية قرب المدفعين .. وترجل راكبوها ووقفوا إلى جانب الجند، وتجرأ قسم منهم فتقدم ماشياً باتجاه القوة المهاجمة.

جئنا لقتل الملك والوصي:

وفي القصر .. جاء آمر ربيئة حرس الشرف التي تقع في مؤخرة القصر على الطريق الزراعي المؤدي إلى المطار .. واتجه رأساً إلى آمر الفوج الذي كان ما يزال في ثكنة الرحاب ليخبره بأن هناك قوة قوامها عشرة جنود بإمرة عريف قد اتخذت مواضعها على مسافة مئة متر من نقطة ربيئته، وإن عريف القوة المهاجمة أخبره بأنهم جاءوا إلى هنا لقتل الملك والوصي؛ فنصحهم ضابط صف الحرس بألا يقدموا على عمل مجنون كهذا .. فأخبره عريف القوة المهاجمة بأنه وجنوده عطاش جياع ..

يطلبون الماء والطعام. ثم طلب ضابط صف الحرس من آمر الفوج تزويده برشاشه وعتاد لجنوده ليتمكن من طرد القوة المهاجمة.

فأجابه آمر الفوج بأن يدخل حظيرته إلى داخل مبنى نقطة الحرس وأن لا يسمح لأحد بالخروج، وأن لا يفتح النار على المهاجمين.

النقيب عبد الستار سبع العبوسي:

وفي تلك الأثناء كانت ثلاث سيارات لوري عسكرية تتجه مسرعة من قلب مدينة بغداد إلى معسكر الوشاش تقل أولاها النقيب عبد الستار سبع العبوسي أحد ضباط مدرسة المشاة. وتقل بقية السيارات ضباط بقية الوحدات في المعسكر وقسماً من ضباط دورة تدريب المشاة الأساسية في المدرسة، وما إن سمع النقيب العبوسي بنبأ الثورة من المذياع وشاهد الجماهير تملأ الشوارع حتى أمر سائقه بأن يطلق العنان لسيارته متوجهاً إلى المعسكر، وبدلاً من أن يدلف إلى باب المعسكر توجه فوراً تتبعه بقية اللوريات إلى قصر الرحاب حيث استطلع موقف القوة المهاجمة عن كثب، وقدر بأنها غير كافية لمهاجمة القصر والاستيلاء عليه.

واستدار بسيارته من استدارة جسر الخر وتوجه ثانية نحو المعسكر، وفي باب المعسكر شاهد جمعاً من ضباط مدرسة المشاة واقفين وهم حيارى لا يدرون ماذا يفعلون .. فأمرهم بالتوجه نحو المدرسة فوراً.

وهناك في ساحة المدرسة التأم شمل الضباط المعلمين والضباط التلاميذ وكان عددهم يناهز العشرين ضابطاً.

السيطرة على معسكر الوشاش:

وألقى النقيب عبد الستار كلمة في جمع الضباط قال فيها: إن هذه هي الساعة

الحاسمة التي كانوا ينتظرونها ويعملون لها. وأمرهم بالمشاركة بالهجوم على قصر الرحاب ومعاونة السرية المهاجمة هناك، فلقى التأييد من جميع الضباط .. إلا أن ضابط خفر المدرسة تردد قليلاً في تسليم مفاتيح المشاجب للنقيب العبوسي الذي اختطفها من يده قائلاً بأنه شخصياً سيتحمل نتائج فعلته. ولم يشأ مقدم خفر المعسكر المقدم عبد يونس أن يوقف أو يكبح جماح اندفاع الضباط الشبان.

وسرعان ما فتحت المشاجب ووزعت غدارات الاستيرلنك الأمريكية الجديدة التي استلمها العراق بموجب المساعدات الأمريكية، ووزعت الغدارات ومخازن عتادها على الضباط. واستلم النقيب عبد الله الحديثي مدفع بازوكا مضاداً للدبابات عيار ٧٥ مليمتر، وعدداً من القذائف الخارقة.

وركب الضباط اللوريات، وبقي ضابط خفر المدرسة، وعدد يسير من الضباط حيث شاهدوا جمعاً من ضباط صف وجنود المدرسة، فوزعوا عليهم البنادق ومشالح العتاد، ورمانتين يدويتين لكل واحد منهم. وسرعان ما انتشر خبر توزيع السلاح والعتاد في بقية وحدات العسكر، حيث باشرت مدرسة المخابرة ومدرسة المدفعية ووحدات مداخر عتاد القاعدة وفوج تدريب بغداد وغيرها من الوحدات الموجودة في المعسكر بفتح مشاجبها وتوزيع السلاح والعتاد على الضباط والجنود فيها.

هجوم من جانب واحد:

غادرت السيارات التي تقل ضباط مدرسة المشاة، وفي أقل من خمس دقائق توقفت قرب لوريات القوة المهاجمة، وقفز الضباط منها واتجهوا مهرولين وغداراتهم في أيديهم واندسوا بين السرية المهاجمة، واتخذ مدفع البازوكا موضعه قرب رشاشة برن وباشر الضباط بإطلاق نيران رشاشاتهم على جنود حرس الباب

النظامي وربيئة الشرق وتقدم قسم منها واتخذوا موضع رمي أقرب إلى القصر متخذين من أشجار الحديقة العامة الأمامية ستاراً لتقدمهم، وانطلقت النيران بكثافة أشد على جنود نقطة حرس الباب النظامي.

أما جنود حرس الباب فقد بقي الحارس الأول في مكانه في وضع الحراسة الصحيح، ولم ينسحب إلى الداخل كما بقى جنود الربيئة يتطلعون إلى القوات التي تطلق عليهم النار. وأصابت إحدى الطلقات آمر حرس الباب النائب عريف عبد فهد في كف يده، مما اضطره إلى الانسحاب إلى داخل الغرفة لتضميد جرحه.

وفي تلك الأثناء كان عريف خفر ثكنة القصر قد أنهى جولته على كافة الربايا لإبلاغهم أمر آمر الفوج بعدم إطلاق النار.

إطلاق قنابل البازوكا على القصر ...

كان النقيب عبد الله الحديثي قد أطلق أول قنبلة بازوكا باتجاه القصر .. فاهتزت المنطقة كلها على دوى الانفجار .. وأصابت الطلقة الشرفة الأمامية للطابق الأول واخترقتها إلى الصالون الواقع في منتصف الطابق العلوي ويتوسط غرف منام الأسرة .. وانفجرت القنبلة هناك، وبعد أقل من دقيقة أطلقت الطلقة الثانية فأصابت أحد الأعمدة الرخامية أمام المدخل الرئيسي للقصر وانفجرت أيضاً.

وطلقة ثالثة هدمت جزءاً من باب الحرس النظامي الخارجي في الحديقة. وبعد أقل من ثلاث دقائق اندلعت سحابة دخان سوداء كثيفة من خلال شرفة الطابق العلوي، وشبت النار في الصالة الفوقية ثم استمر اندلاع سحب الدخان الأسود، ولم تلبث أن بانت ألسنة اللهب من خلال الشرفة. وبينما كان إطلاق النار على أشده من القوة المهاجمة .. كان المنظر على يمين الشارع قد أصبح مخيفاً .. حيث شوهدت مجموعات من الجنود في داخل معسكر الوشاش، كل مجموعة تتكون من حوالي

المائة جندي وقد شهروا بنادقهم عالياً وهم يهزجون أهازيج الحرب بطريقة عشائرية، ويطلقون نيران بنادقهم في الهواء .. ثم يهرولون راكضين عبر الشارع العام باتجاه القصر للانضمام إلى القوة المهاجمة.

وعندما كانت عقارب الساعة تشير إلى حوالي السابعة كانت القوة المهاجمة والمواجهة لقصر الرحاب قد بلغت حوالي المئتي مسلحاً .. وهناك مئات من المسلحين الآخرين من جنود معسكر الوشاش الذين باشروا باستلام أسلحتهم، وتوجهوا راكبين أو راكضين نحو قصر الرحاب.

أما في قصر الرحاب .. فقد كانت أوامر الأمير عبد الإله بعدم إطلاق النار ما تزال سائدة .. وفوج الحرس الملكي يقف برمته متهيئاً للقتال في انتظار الأوامر التي ستصله من آمر الفوج الموجود في قصر الرحاب، بينما كان العقيد طه البامرني ينتظر النقيب عبد الرحمن الذي ذهب بمهمة جلب آمر القوة المهاجمة للتفاهم معه.

الموقف في بقية وحدات الحرس الملكي

لابد أن نتريث هنا لحظة أمام الموقف في قصر الرحاب لنتحدث عن الموقف في بقية وحدات الحرس الملكي.

كانت قوات الثورة قد تمكنت في الصباح الباكر من اعتقال اللواء عبيد العبد الله المضايفي كبير مرافقي الملك، وتم اعتقاله في وزارة الدفاع.

أما العميد الركن محسن محمد علي فقد تم اعتقاله أيضاً في داره في منطقة الحارثية القريبة من الرحاب، وقد تمكن العقيد جميل خليل آمر كتيبة الهاشمي الأولى من مغادرة داره في الأعظمية متوجهاً نحو مقر كتيبته في معسكر الوشاش.

وعندما مر بالقرب من مقر سرية الخيالة الرابعة المخصصة لحراسة البلاط

الملكي، دخل السرية وأعطى أوامره الإنذارية الشفهية إلى آمر السرية، وأوصاد بالبقاء في السرية ريثما يصل هو إلى الكتيبة ويبلغه أوامر الحركات من هناك.

وحالما وصل العقيد خليل إلى الكتيبة اتصل هاتفياً بمقر فوج الحرس الملكي. ولم يستطع أن يحصل على العقيد طه البامرني الذي كان موجوداً في القصر في ذلك الحين، وعلم من رئيس خفر الفوج بأن الفوج لم يتسلم أية أوامر بالمقاومة أو الحركة، وأن الفوج موجود بأكمله في الثكنة وأنه (أي رئيس الخفر) حائر في الموقف في قصر الرحاب.

وبسرعة أصدر العقيد خليل أوامره إلى ضابط خفر الكتيبة بوضع الكتيبة بالإنذار. وفي تلك الأثناء كانت قد وصلت إلى مسامعه أصوات المعركة ودوي المدفع.

وأمر أحد ضباطه وهو الملازم رشيد حميد أن يرتدي ملابس مدنية، ويذهب بسرعة إلى جهة قصر الرحاب للاستطلاع هناك، وإبلاغه عن موقف فوج الحرس الملكي.

أما هو .. فقد اصطحب معه النقيب عامر نور الدين وتوجها خلال المزارع والحقول التي تشكل مؤخرة معسكر الوشاش ليصلا إلى إحدى دور الفلاحين التي تطل من بعيد على قصر الرحاب، وقد شاهدا الدخان الأسود ينبعث كثيفاً من القصر وطلقات الرصاص ودوي المدافع يشق عنان السماء وبينما هما في موقفهما هذا وإذا بهما يفاجأن بضابطين من ضباط الكتيبة، أحدهما النقيب عبد النبي حامد الدهان وقد وقفا أمهامهما، وبسرعة شهر النقيب عبد النبي مسدسه بوجه آمر الكتيبة وقال له: أنت معتقل .. واصطحبه معه إلى مقر الكتيبة واعتقله في إحدى الغرف واستلم قيادة الكتيبة بدلاً منه. ولم يتمكن المقدم حمدون سعيد معاون آمر

الكتيبة من ترك داره والتوجه إلى معسكر الوشاش نظراً لكون الموما إليه محكوماً عليه بالإعدام من قبل الحزب الشيوعي العراقي، وفضل البقاء في بيته إلى أن تم اعتقاله.

وفي معسكر الوشاش أيضاً تمكن المقدم حسين علي العبيدي آمر بطارية مدفعية لواء الحرس من الوصول إلى مقر بطاريته. وكان الموقف عنده غامضاً جداً بحيث تعذر عليه الاتصال بمقر اللواء أو آمرية الفوج. ولم يتخذ سوى الإجراءات الأولية وبقى في مكتبه جنب الهاتف في انتظار الأوامر والتعليمات بشأن المعركة.

ماذا حدث في البلاط الملكي:

أما في البلاط الملكي حيث تعسكر سرية خيالة وسرية مشاة، فقد أفاق ضابط خفر البلاط الملازم غانم عموري من فوج الحرس الملكي على صوت المذياع وأنباء الثورة التي كان الجنود يتحدثون بها، وقد قام فوراً بالاتصال بالفوج فاستلم الأوامر بعدم القيام بأية حركة انتظاراً لأوامر أخرى.

وعندما حضر آمر السرية وبقية ضباط سرية الخيالة، اجتمعوا في غرفة الآمرو، هم ينتظرون الأوامر التي ستصلهم عبر الهاتف فيما سيفعلونه.

وبعد دقائق وصل عريف خفر البلاط ومعه آمر نقطة حرس الباب النظامي الخارجي المواجه للشارع ليخبر الضابط بأن قوة تقدر بدبابتين وسرية مشاة قد أحاطت بالبلاط من جهة شارع الإمام الأعظم، وأن جنود القوة المهاجمة أخذوا في إطلاق النار عليهم. واتصل الملازم ثانية بمقر الفوج .. فكانت الأوامر .. هي .. هي .. أي عدم إطلاق النار .. فأصدر الملازم غانم أوامره إلى آمر حرس الباب النظامي بالانسحاب إلى داخل غرفة الحرس وعدم القيام بأية حركة .. إلا أن نيران

المهاجمين اشتدت .. مما أجبر جنود الحرس على الانتشار مهرولين في حديقة البلاط ليستتروا بالأشجار.

وهنا كانت جماهير غفيرة من الشعب قد خرجت من بيوتها وراحت تشارك المهاجمين حماسهم وأخذت هذه الجماهير في النداء بأعلى أصواتها على جنود حرس البلاط بأن يستسلمو. وأن لا يقاوموا وألا يطلقوا النيران على جنود الثورة المهاجمين.

وقطع جنود الثورة نيرانهم .. ووقف الطرفان الواحد تجاه الآخر لا يعرف ماذا يفعل، وإزاء الموقف الغامض جداً في جبهة قصر الرحاب .. ومنظر الشوارع التي تغص بالناس .. ومظاهرات التأييد التي تملأ الشوارع والأزقة .. أمر آمر سرية الخيالة جنوده بالبقاء في قاعات نوم السرية وعدم القيام بحركة.

وكانت خاتمة المطاف عندما استلمت قوة البلاط كلها .. الأوامر .. وكانت بالتسليم النهائي، فدخل جنود وضباط لواء المشاة العشرين ومن يساندهم من بقية وحدات بغداد وبأيديهم أسلحتهم، واحتلوا نقاط الحراسة في البلاط وجمعوا أسلحة سرية المشاة وأرجعوا الجنود إلى ثكنة الخيالة، ثم دخل ضباط الثورة وجمعوا كل ضباط الحرس في بهو الضباط، وأمروهم بعدم الخروج من أماكنهم ووضعت عليهم الحراسة.

لهيب الثورة ينتشر:

وفي بغداد هاج الناس وماجوا وتقدمت جموع غفيرة منهم، وهم يحملون بأيديهم ما تيسر لهم حمله من السلاح والعصي والهراوات وأغصان الأشجار وسعف النخيل، وركبوا اللوريات والسيارات، وقسم منها سار راجلاً .. تلبية نداء العقيد الركن عبد السلام محمد عارف بدعوة الشعب للمشاركة في الهجوم على قصر الرحاب ودكه دكاً.

وأمام معسكر الوشاش التقت جموع الشعب بجنود المعسكر الذين كانوا قد استلموا أسلحتهم من المشاجب وتوجهوا راكضين بدون نظام أو تشكيل أو قيادة للانضمام إلى القوة التي كانت تهاجم القصر.

وفي تمام الساعة السابعة والمرجع كان تعداد القوة المهاجمة قد تجاوز الـ٥٠٠ تقريباً .. أمام الطريق العام المؤدي إلى بغداد .. فكان يعج بالألوف من الناس كما أسلفنا.

وجدير بالملاحظة أنه حتى تلك الساعة فإن أحداً من المهاجمين لم يفكر بالالتفاف خلف قصر الرحاب لقطع طريق الرجعة أو الهروب على ساكني القصر.

كما أن أحداً لم يقم بقطع أو مسك جسر الخر لصد أي تقدم يقوم به فوج الحرس باتجاه الرحاب، كما لم توضع أية أسلحة ثقيلة لصد هجوم الفوج إن هو قام بعملية التفاف وعبر نهر الخر وضرب القوة المهاجمة من الخلف.

محاولات يائسة للتفاهم:

الآن .. وفي داخل قصر الرحاب .. كان الطابق العلوي قد غدا كتلة رهيبة من النيران المشتعلة التي انتشرت وراحت تلتهم غرف النوم، وعلى عجل أمر الأمير كافة أفراد الأسرة من النساء بالنزول إلى أقبية وسراديب القصر والاحتماء هناك. أما هو فقد اصطحب معه مرافقه العسكري وصعد إلى الطابق العلوي حيث اجتاز النيران؛ ودلف إلى غرفته وفتح خزانته الخاصة وأخذ مبلغاً من النقود دسه في جيبه وبعض الحاجات الضرورية، ونزل إلى الطابق الأرضي الذي لم تكن النيران قد بلغته بعد، وعندما جاءه العقيد طه البامرني ليخبره بأن الهجوم قد اشتد وتوسع .. وأن أعداداً غفيرة من جنود معسكر الوشاش يشاركون في الهجوم أيضاً، وأنه لم يتمكن من الوصول إلى أحد الضباط المهاجمين وإقناعه بالتوجه إلى القصر للتفاوض معه.

استلم الأمير هذه الأخبار من آمر الفوج .. وسكت برهة .. وحاول الملك أن يقول شيئاً إلا أن صوته ضاع وسط أزيز الرصاص الذي أخذ يخترق خشب الباب الخارجي ويهشم باب قاعة الطعم الزجاجية في غرفة الطعام الوسطى.

ثم تكلم الأمير بعصبية ظاهرة .. وأوعز إلى اثنين من ضباطه الخاص بارتداء الملابس المدنية، وأخذ إحدى سيارات القصر والسير على طول الطريق العام لدراسة الموقف لإعطائه صورة واضحة عن القوة المهاجمة والحالة في بغداد.

وقال للعقيد طه بأنه يجب المحافظة على ضبط النفس، وعدم إطلاق النار بأي حال من الأحوال لئلا يزداد الموقف تعقيداً.

واستدار إلى النقيب ثابت يونس وأمره بالتوجه نحو المهاجمين ومحاولة التكلم معهم بلطف، وجلب أحدهم إلى الدار للتفاوض معه. وبالفعل قام النقيب ثابت بتنفيذ الأمر، وغادر القصر من البوابة الأمامية النظامية وتوجه إلى حيث يقف المهاجمون. وعندما شاهد الضباط المهاجمون النقيب ثابت، وهو يتقدم إليهم صرخ فيه قسم منهم من أصدقائه وأبناء دورته في الكلية العسكرية بالتسليم أو العودة من حيث أتى. ولم يأبه لتحذيراتهم بل استمر في التقدم نحوهم، ولما اقترب منهم أكثر صاح فيه بعضهم بأنهم يريدون من الملك والأمير أن يسلما نفسيهما ويخرجا من قصر الرحاب. فأجابهم النقيب ثابت بأن الملك والأمير غير موجودين حالياً في القصر، وأنه يطلب واحداً منهم أن يدخل القصر للتفاوض على تسليم النساء والأطفال.

فلما لم يجبه أحد .. وكانت النيران تطلق بغزارة من سور القصر الخارجي والداخلي، انسحب النقيب إلى داخل القصر.

وهنا أبلغ الأمير ما شاهده وما تكلم به، فلم يبد على الأمير أنه مكترث جداً للأمر، وأصر على عناده بأن يحاول جميع الضباط الموجودين في القصر التوجه إلى

المهاجمين والطلب منهم الكف عن إطلاق النار، والمباشرة في إجراء المفاوضات.

وفي تلك الأثناء، وبينما كان إطلاق النار على أشده، كان المقدم محمد الشيخ لطيف ضابط استخبارات لواء الحرس قد وصل إلى مكان المعركة، واستطلع الشارع العام كله، وقدر موقف القوة المهاجمة، ولم يدخل إلى قصر الرحاب، بل توجه فوراً إلى ثكنة الفوج فشاهد هناك رئيس الخفر وضابط الخفر يقفان جنب الهاتف وسرايا المشاة وقد استلمت أسلحتها والمشاجب مفتوحة والفوج متهيأ للقتال. ولما استفسر منهم عن الموقف أخبره الضابطان بأن الأوامر حتى الآن هي عدم القيام بأية حركة، وحاول المقدم محمد أن يتصل بقصر الرحاب فتعذر عليه ذلك.

فأصدر أوامره إلى المدرعات الثلاث أن تتوجه فوراً إلى قصر الرحاب، وأن تحتل الأطراف والزوايا الخارجية للسور الخارجي، وتبقى في حالة انتظار الأوامر منه.

وبسرعة، أمر أحد راكبي الدراجات البخارية بأن يقله إلى داخل قصر الرحاب.

محاولة إنقاذ جريئة

وعندما كان الرصاص ينهمر بشدة على القصر، كانت هناك سيارة صغيرة من نوع أوبل قد شقت طريقاً لها وسط النيران الشديدة المنبثة من الشارع، ودخلت القصر، وتوقفت أمام بابه الرئيسي، وترجل منها على عجل الملازم أول ثامر خالد الحمدان المرافق العسكري للأمير عبد الإله ودلف إلى داخل القصر.

وفي داخل القصر التقى الضباط جميعاً .. فأبلغهم الملازم ثامر حقيقة الموقف بدقة في الخارج، وأن الهجوم أصبح شديداً .. وأن قوات معسكر الوشاش تساندها جموع غفيرة من الناس، قد أطبقت على القصر من جهة الشارع.

وعندما كانوا يقنعون الأمير بضرورة القيام بهجوم معاكس لطرد قوات الهجوم،

لمسافة عن القصر إلى أن يتدبر الأمر .. كان الملازم ثامر يتوسل إلى الأمير بأن يهرب هو وفيصل والعائلة معه بسيارته الخاصة ما دام القصر لم يتم تطويقه بعد. وما دام طريق جسر الخر مفتوحاً ويؤدي بهم إلى الحدود العراقية الغربية حيث تقع المملكة الأردنية الهاشمية.

التفت إليهم الأمير عبد الإله وقد بان الشحوب القاتل في وجهه، وبكلمات بسيطة قال لهم: «لا أريد قتالاً حقناً للدماء ..» وكرر هذه الجملة عدة مرات خلال الحديث معه، وإقناعه بضرورة الهرب أو القتال، وذلك لأنه لا يريد أن يتسبب في قتل أحد، وإنما يود أن يفاوض المهاجمين، وأنه يرغب في مغادرة البلاد.

ولأول مرة سمع الضباط ملء آذانهم الأمير، وهو يقول بصوت كله صدق وإخلاص بأنه يريد مغادرة البلاد. والتفت الأمير إلى جهة الملك الذي كان يقف واجماً، ولم يبد عليه أنه يريد مناقشة خاله الأمير في الأمر الذي اتخذه، وهو عدم التورط بقتال .. وترك البلاد.

وتوجه عبد الإله بالكلام إلى الضباط يأمر النقيب ثابت يونس بأن يتوجه مرة أخرى صوب المهاجمين، ويعلمهم برغبة الأمير طلب التفاوض .. وأمر طه البامرني بأن يذهب صوب جنود الحرس في الثكنة للإشراف على الموقف من هناك. وبقي مع الأمير كل من الضابطين محمد الشيخ لطيف، وثامر خالد الحمدان، وأحس الضباط في قلوبهم بأن تعليمات الأمير القاضية بعدم الهرب وعدم القتال إنما ستجر عليهم جميعاً الكارثة إن لم يتداركوا الموقف ويعالجوه بحكمة.

إصرار على التفاوض والرغبة في التنازل عن العرش:

نزل الأمير ومعه الملازم ثامر إلى سراديب القصر .. وكانت الأسرة قد افترشت الأرض وسرعان ما هبت النساء واقفات ورحن يسألن الأمير عن الموقف في

الخارج، وماذا سيفعلون .. وطوقت الأميرة عابدية الملك الذي انهارت قواه، وخارت عزيمته، وهو يتطلع بعينين حائرتين زائغتين ويستمع إلى صوت المذياع الترانزستور وهو يذيع أنباء الثورة، والتعيينات والمناصب التي شملت في غالبيتها أسماء أصدقاء مخلصين للأسرة المالكة من ضباط حرسهم السابقين. وانزوت الملكة نفيسة والدة عبد الإله في ركن، وفتحت القرآن الكريم وهي تتلو آية الكرسي بصوت مرتفع .. وراح الأمير يحاول تهدئة النساء .. ولم تفارق اللفافة شفتيه، وهو ينفث دخانها بشكل متتابع، وأنبأهم بأنه أوفد رسلاً إلى القوة المهاجمة يعلمها رغبته بترك العراق .. وكأنما كانت رغبة الأمير بمغادرة العراق هي نفس ما كان يجيش في نفوس الأميرات، إذ بانت الفرحة على وجوههن وهن يقلن للأمير ، وهل سيفرج عنا..؟ هل سنترك القصر الآن؟

وهنا فتح الباب أحد سائقي السيارات الملكية المدعو عمران، وهو يصرخ ويصيح باكياً متوسلاً الأمير بأن الطريق مايزال مفتوحاً .. وأنه يمكنه أن يهرب بهم أو بالملك وحده بإحدى سيارات الرولز السريعة إلى حيث الحدود الأردنية.

إلا أن الأمير أجابه بقوله: «لقد أرسلنا من يفاوضهم ولا حاجة لأن نهرب .. سنترك العراق» والتفت الأمير إلى الملك وقال له: حضر ورقة اكتب فيها تنازلك عن العرش .. وأبقها لحين الحاجة.

الهجوم يشتد:

كانت النيران في الطابق العلوي من القصر قد امتدت إلى غرفة رياضة الملك حيث يوجد فيها عدد من بنادق الصيد وخراطيش الصيد .. وما إن مستها ألسنة النار حتى راحت تفرقع من أعلى البناء، فظن المهاجمون أن نيران رشاشات أخذت تطلق عليهم من الطابق العلوي. فثارت ثائرتهم وفتحوا نيرانهم بشكل كثيف على

القصر .. وحطمت النيران زجاج النوافذ كله .. وراحت الطيور الحبيسة في أقفاصها أمام القصر .. تطير فيها فزعة مضطربة من لعلعة الرصاص .. وألسنة النار التي شبت بالقرب منها. وفي تلك الأثناء وصلت مدرعات الحرس الملكي الثلاث واخترقت صف النيران، ووقفت في ركان القصر واختبأ الجنود بداخلها وهم مشبكون أجهزة اللاسلكي على مقر الفوج لاستلام الأوامر فيما سيفعلونه، وهنا كانت ثلاث مدرعات مهاجمة يقودها الملازم عبد الرزاق غصيبة قد وصلت مسرعة من بغداد، وبسرعة انفتحت المدرعات الثلاث أمام القصر واتخذت مواقعها خلف بعض السدود الرابية تهيؤاً للمعركة. وما شاهد الملازم غصيبة أن مدرعات الحرس تقف ساكنة .. تقدم بمدرعاته تجاه القصر.

أما في ثكنة الرحاب فإن قوة حراسة القصر المكونة من السرية والنصف، وبقية نقاط الحراسة التي انسحبت إلى الداخل .. فكانت تقف بشكل مربع في الساحة أمام غرف النوم ويقف مع الأفراد كل من ضابط الخفر فضلاً عن الضابطين: الدجيلي وعبد الرحمن محمد صالح .. إلا أن الموقف في الخارج، وإزاء خوف جنود الحرس من أن يقتلوا جميعاً، حدا بالنائب عريف جفات راضي من الفصيل الثاني من السرية الأولى أن يغادر الصف، ويتجه نحو المشاجب ويستلم رشاش برن وثلاثة مخازن عتاد ويرتقي سطح منام غرف الانضباط الخاص، واتخذ موضعاً للرمي يشرف على كامل الجناح الأيسر للقوة المهاجمة. وهنا وصل العقيد طه، وأبلغ الضباط بأن الأمير مصمم على عدم القتال .. وهو يرغب في مغادرة البلاد، وصرخ بجندي الحرس النائب عريف جفات بأن ينزل برشاشه عن سطح البناء.

وفي داخل القصر ارتفعت درجة الحرارة واشتدت على أثر اشتعال الطابق العلوي برمته، وراحت ألسنة اللهب تزحف نحو السلالم المؤدية إلى الطابق

الأرضي. وزخم الدخان الكثيف الهابط أرجاء الطابق الأرضي، وبدت بقع ملونة تظهر في سقف البناء وارتفعت درجات حرارة الجدران.

أما الأسرة المالكة .. فقد تركت السرداب الذي كانت تختبئ فيه منسحبة إلى المطبخ الذي يقع أيضاً في أقبية القصر .. وفتحت باب المطبخ الذي يؤدي إلى فناء صغير محاط بسياج خشبي أخضر اللون، ينتهي بالحديقة الجانبية للقصر، حيث يوجد ممر صغير من أشجار واطئة الارتفاع .. ثم سياج سلكي عليه باب من السلك يؤدي إلى الإسطبلات والمرائب فثكنة نوم الجنود.

وفي المطبخ اجتمعت الأسرة ثانية، وكانت الملكة الوالدة نفيسة ما تزال ترتل القرآن بصوت مسموع، أما الأميرة عابدية فقد بطت مشعثة الشعر مغرورقة العينين وهي تصرخ في أخيها أن يجد طريقة لإنقاذهم .. بينما جلس الملك على أحد الكراسي .. ووقف إلى جانبه الطباخ وبعض الخدم وهم في أقصى حالات الهلع.

أما النقيب ثابت يونس الذي ذهب بمهمة المفاوضة فقد خرج إلى الحديقة ليواجه حشداً من الضباط قد تسللوا من البوابة النظامية الخارجية إلى داخل حديقة القصر نفسها .. واتخذ بعضهم من حوض الماء المستدير الموجود أمام الباب ستراً يحتمي به. وسرعان ما تعالت أصوات الضباط يطلبون أن يخرج الملك وولي العهد .. وحاول ضابط برتبة ملازم ثان أن يهجم على ثابت يونس والشتائم والسباب تنهال من فمه، فأمسكه ثابت من كتفه صارخاً بوجهه أن يلتزم جانب الأدب والضبط والربط العسكري عندما يتكلم مع ضابط أعلى منه رتبة.

وانهال الرصاص بشدة وتناثرت الطلقات يميناً ويساراً، وهي تصطدم بجدران القصر الداخلية وانفجرت قنبلتان أو ثلاث من مدفع هاون ٢ عقدة .. مما اضطر النقيب ثابت أن يتراجع إلى المطبخ، حيث وجد الجمع كله، وأخبر الموجودين بأنه

تعذر عليه التكلم مع أحد.

ناقش الضباط الموقف مع الأمير، وأطلعوه على حقيقة الحالة في الخارج .. وبعد دقيقة كان عبد الإله قد اتخذ قراره الأخير.

عبد الإله يتخذ قراره الأخير:

التفت إلى الجميع من الضباط .. ومن معه من أفراد الأسرة وقال:

طيب .. أبلغوا المهاجمين بأنني قررت التسليم .. وأن الملك يتنازل عن العرش .. شرط أن يدعونا نغادر العراق .. وأعطى عهداً بأن لا أعود إليه.

سمع الموجودون كلهم قرار عبد الإله .. بالتسليم .. والتنازل عن العرش .. وغام الوجوم على وجوه الجميع .. وإن بدا واضحاً أن الملك والأميرات قد استحسنوا القرار الذي طالما أرادوه.

وأمر عبد الإله كلاً من الضباط محمد الشيخ لطيف وطه البامرني وثابت يونس .. بأن يذهبوا ليبلغوا هذا القرار الجديد للضباط .. لكي يكفوا عن إطلاق النيران.

وعندما خرج العقيد طه البامرني صحبه المقدم محمد الشيخ لطيف .. شاهدوا أفراداً أخر من الضباط والمراتب قد دخلوا الحديقة واستتروا بالأشجار .. وتقدم عدد من الضباط ورشاشاتهم بأيديهم صوب ضابطي الحرس .. وقال المقدم محمد الشيخ لطيف: إننا لا نريد أن نقاوم .. فقط نريد أن نعرف مصير الموجودين داخل القصر .. وتقدم منه ضابطان، فتوسل إليهما المقدم محمد أن ينزلا إلى المطبخ ويواجها، الأمير، ويسمعا منه قراره بالتسليم والتنازل عن العرش .. وأخذهما بيده ونزل بهما درجات المطبخ، وهناك واجه الضابطان الأمير عبد الإله الذي كان يقف ولفافته بيده يدخنها. وقد بدا وجهه شاحباً تشوبه صفرة الموت .. إلا أنه كان يحاول

أن يحافظ على رباطة جأشه .. والذي سرعان ما استعاده .

وهب الملك واقفاً وعلى وجهه شبح ابتسامة ملائكية، ثم توجه ووقف إلى جانب خاله .. وصرحت الملكة نفيسة بكلمات عربية مكسرة تحلف الضابط بالقرآن الكريم أن لا يمسوهم بسوء .. وراحت الأميرة عابدية تبكي وتتشنج، وبجانبها تقف الأميرة هيام التي بدا الهلع والخوف على وجهها.

تكلم الأمير عبد الإله بصوت به نوع من الصرامة والجدية موجهاً كلامه للضابطين قائلاً: «إن كنتم طلاب حق وشهامة فإن هؤلاء الموجودين أمامكم أمانة بأعناقكم .. لقد قرر الملك أن يتنازل عن العرش، وسنغادر العراق إذا سمحتم لنا بذلك».

ولم ينبس الضابطان ببنت شفة واستدارا إلى الخلف، ثم التفت أحدهما قائلاً: سأذهب لأبلغ قراركم هذا إلى الضابط في الخارج.

الحرس الملكي يستسلم:

وفي تلك الأثناء .. وفي ثكنة الرحاب .. تقدم عدد من ضباط ومراتب الثورة .. وبأيديهم غداراتهم وفاجأوا سرية حرس القصر كلها، وتعالى صراخهم بأن يرفعوا أيديهم فوق رؤوسهم علامة التسليم. فرفعت كل قوة قصر الرحاب أيديها فوق الرؤوس علامة التسليم .. وأوعز ضباط الثورة لضباط وجنود الحراس بأن يقفوا بتشكيل رتل سير.. وجاء بضباط الحرس الثلاثة وأوقفوهم أمام الرتل .. وأعطيت لهم الأوامر بالسير.. فسارت قوة حراسة الرحاب كلها برتل المسير الثلاثي المنتظم، وقد رفع الضباط والجنود أيديهم فوق رؤوسهم .. علامة التسليم.

وأمرت القوة بالسير في الطريق الملكي الخاص .. وشاهدت القوة المستسلمة القوة المهاجمة كلها .. وقد غدت مائة ضعف عما كانت عليه قبل ساعة من الزمن .. ومن خلال الأشجار .. لاح لهم الطريق العام، وقد غص عن آخره بالألوف من الشعب الذي طوق القصر من جميع جوانبه تقريباً.

سارت القوة الأسيرة وأوعز لها بالوقوف أمام الباب النظامي لسور القصر الخارجي ثم أمرت القوة بالجلوس أرضاً مواجهة للقصر نفسه، وأيديهم فوق رؤوسهم، والضباط المهاجمون شاهرون أسلحتهم بوجوههم .. بحيث أصبحوا بمجلسهم هذا يواجهون البناء الداخلي للقصر الذي كان يحترق في ذلك الوقت. وشاهد من كان موجوداً في الطابق الأرضي من القصر أن قوة الرحاب قد استسلمت كلها.

وفي خارج مبنى القصر .. توجه العقيد طه البامرني إلى باب الحديقة الخارجية .. حيث يوجد هاتف .. وكان ما يزال متمنطقاً بمسدسه .. ومن بعيد شاهده النقيب عبد الستار سبع العبوسي الذي صرخ به قائلاً: أين أنت ذاهب ..؟

فأجاب العقيد طه .. أريد أن أبلغ كافة وحدات الحرس الملكي بالتسليم.

فطلب إليه النقيب سبع أن ينزع مسدسه ويتقدم .. وبالفعل خلع العقيد طه مسدسه وقدمه إلى سبع. ثم دخل غرفة الحرس من الباب النظامي، وطلب مأمور بدالة القصور الملكية أن يصله بمقر الفوج، حيث كان مساعده النقيب هاشم الحاج كمال يتلقى المكالمة .. والتي كانت بالتسليم وإرجاع السلاح والعتاد إلى المشاجب .. وإدخال الجنود إلى قاعات النوم.

استسلم النقيب هاشم هذا الأمر .. وأعوز فوراً إلى النقيب سالم وضباط الخفر .. ومن تيسر حضوره من الضباط إلى الثكنة في تلك الساعة وباشر الضباط مهمتهم ..

وأمروا الجنود بإدخال السلاح إلى المشاجب، والدخول إلى قاعات النوم، وبأقل من خمس دقائق عاد كل سلاح الفوج الملكي الأول إلى المشاجب .. وأغلقت الأبواب. وختمت بالشمع الأحمر كالعادة .. وعاد الجنود يسيرون متخاذلين متباطئين .. وقد انهدت معنوياتهم وهم يتساءلون حائرين عن الموقف في قصر الرحاب وعن مصير القوة الموجودة هناك. واجتمع ضباط فوج الحرس في غرفة المساعد يرتشفون أقداح الشاي ويدخنون السجائر بقلق ظاهر في انتظار ما سيردهم من أحداث بعد تسليمهم.

وفي كتيبة الهاشمي .. كانت الكتيبة تحت رحمة النقيب عبد النبي حامد .. الذي استلم مكالمة العقيد طه .. وأخبره بزهو وافتخار بأن الكتيبة قد جندت نفسها لخدمة الثورة منذ الساعة الأولى؛ وحدث نفس الشيء في البلاط حيث استلم آمر القوة هناك أمر التسليم واستلم آمر بطارية مدفعية الحرس أمر التسليم أيضاً.

وهكذا .. استسلم لواء الحرس الملكي كله .. وكان الوقت يقارب الثامنة إلا ربعاً صباحاً.

الدقائق الأخيرة:

ولنعد الآن إلى داخل المطبخ في القصر المشتعل .. كانت الأسرة المالكة قد أخذت تشعر بأنها أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الموت .. كان عبد الإله يقف وهو يعصر فكره ويحاول أن يبدو هادئاً .. ثم لم يلبث أن تكلم فقال: (أعتقد أنهم سيأخذونني أنا فقط .. أما أنتم فلا أعتقد بأن هناك خوفاً عليكم) .. وقال موجهاً كلامه لفيصل:

(أما أنت فتنازل عن العرش بصفة رسمية .. وغادر البلاد).

وفي خارج المطبخ .. وخلف السور الخشبي المشبك الأخضر .. انتشر عدد من

الضباط والجنود في الحديقة .. شاهرين أسلحتهم وموجهين فوهاتها تجاه باب المطبخ، ووقفت خلفهم مدرعة تمكنت من التسلل من الطرق الجانبية.

وارتفع صوت النقيب مصطفى عبد الله من المهاجمين .. وهو يصرخ بالموجودين في داخل المطبخ أن يخرجوا .. وانهالت الشتائم من فمه يسبهم ويلعنهم.

ودخل العقيد طه من بين المتجمهرين أمام المطبخ ومعه المقدم محمد الشيخ لطيف .. وأخبرا الأمير بأن أوامر التسليم قد أبلغت إلى كافة وحدات لواء الحرس الملكي .. وأن الأمر أصبح منتهياً .. وأن عليه أن يسلم نفسه وأفراد أسرته للثوار.

وأدرك كل الموجودين أن هذه هي الحقيقة التي لا منجاة منها، وأن عليهم أن يغادروا البناء، ويسلموا أنفسهم إلى هؤلاء الذين يريدونهم في الخارج.

وبسرعة أوعزت الأميرة عايدة إلى إحدى الخادمات أن تذهب إلى فوق وتجلب بعض الحرامات والشرائف لتستر بها النساء أجسادهن وهن بملابس النوم.

وخرج النقيب ثابت للمرة الأخيرة وصاح بجمع الضباط المتجمهرين بالباب بأنهم ليسوا أكثر وطنية منه .. وإذا كان الموقف الوطني يتطلب أن يعتقلوا الملك والأمير، فإن في الداخل نساء وأطفالاً وخدماً لا ذنب لهم، ورجع إلى الداخل .. وفي باب المطبخ كان يقف العقيد طه، وهو يحاول أن يهدئ من ثورة غضب النقيب مصطفى عبد الله .. ويكلمه باللغة الكردية.

مسيرة الموت:

وقبل الساعة الثامنة بقليل .. فتح باب المطبخ .. وخرج منه الملك وإمارات الرعب قد تجمدت على وجهه من هو الموقف .. وبدا مرتدياً ثوباً ذا كمين قصيرين .. وبنطالاً رمادي اللون، وينتعل حذاءً خفيفاً .. وخلفه سار الأمير عبد الإله مرتدياً

ثوباً وبنطالاً كذلك، وقد وضع يده اليسرى في جيب بنطاله، أما يبده اليمنى فكانت ترفع منديلاً أبيض.

وزاحمت الملكة نفيسة ولدها الأمير عبد الإله على درج المطبخ، ووقفت وراء الملك ورفعت القرآن عالياً بيدها فوق رأسه وهي تصر بأسنانها على أطراف الشراشف الذي يستر جسمها، وخلفها سارت الأميرة عابدية وهي تنتحب وتولول، ثم الأميرة هيام، ثم إحدى خادمات القصر المسماة رازقية، والطباخ التركي وخادم آخر .. واثنان من جنود الحرس تركا بندقيتهما في المطبخ.

وخرج الجميع يتقدمهم المقدم محمد الشيخ لطيف .. والملازم أول ثامر خالد الحمدان .. وكان يقف في نهاية الرتل النقيب ثابت يونس.

وفي الباب، كان العقيد طه ما يزال يحاول أن يهدئ من ثورة هيجان الضباط، وخاصة النقيب مصطفى عبد الله الذي كان يرفع عقيرته بالصراخ (اخرجوا أيها السفلة .. أيها الخونة .. أيها العبيد) وخرج الجمع كله ليواجه نصف حلقة من الضباط وهم كل من:

النقيب مصطفى عبد الله .. النقيب سامي مجيد .. النقيب عبد الله الحديثي .. النقيب منذر سليم، النقيب عبد الحميد السراج، الملازم أول عبد الكريم رفعت، وعدد آخر من الملازمين والمراتب.

ويقف خلف هؤلاء الضباط عدد آخر من الضباط والجنود، وقد انتشروا في الحديقة وخلف الأشجار .. وإلى خلف هؤلاء من اليمين واليسار .. كانت الجموع الغفيرة من العساكر والناس تقف متفرجة.

خرج الملك فيصل .. وسرعان ما رفع يده بالتحية العسكرية للضباط الموجودين أمامه .. واغتصب ابتسامة رقيقة تراقصت على شفتيه، وظهرت خلفه جدته .. وهي

تحاول أن تجعل الجمع كله يشاهد القرآن بيدها .. وبعدها سار عبد الإله .. وهو يتمتم ببضع كلمات غير مسموعة .. ووجهه يكاد أن يكون أبيض .. وزوى ما بين حاجبيه، وهو يرى لأول مرة الضباط شاهرين رشاشاتهم بوجهه .. وتلفت يمنة ويسرة .. ليتطلع إلى بقية العساكر المنتشرين بالحديقة .. ثم لم يلبث أن استدار إلى الخلف ليطمئن على زوجته وأخته اللتين جفت الدموع في مآقيهن ولم تعودا يعرفان ماذا يقولان أو يفعلان .. وارتفع همس الملكة العجوز وهي تحاول أن تردد بعض الآيات من القرآن الكريم.

وتقدم النقيب مصطفى عبد الله .. وصرخ فيهم بأن يجتازوا ممراً من الشجيرات ينتهي إلى باحة خضراء صغيرة .. جنب شجرة توت ضخمة وسط الحديقة، وقد تعلق بها نسناس صغير مربوط من رقبته بسلسلة معدنية .. فاجتاز الجمع الممر .. ووقفوا بشكل نشق يتطلعون إلى أفواه رشاشات الضباط الموجهة نحوهم.

النهاية الرهيبة:

وفي هذه الأثناء .. كان النقيب عبد الستار سبع العبوسي داخل قصر الرحاب .. فترك القصر ونزل هابطاً درجات الباب الأمامية ورشاشته بيده .. واستدار إلى اليمين فشاهد الأسرة المالكة كلها تسير في صف تاركة باب المطبخ .. وبعد أقل من نصف دقيقة كان النقيب العبوسي يقف خلف العائلة المالكة تماماً، ويفصله عنهم خط شجيرات صغيرة على الأرض.

وبلمح البصر .. فتح نيران رشاشته من الخلف مستديراً من اليمين إلى اليسار .. فأصابت طلقات غدارته الثمانية والعشرين طلقة ظهر الأمير عبد الإله .. ورأس ورقبة الملك وظهري الملكة والأميرة عابدية .. ثم لم يلبث أن فتح مصطفى عبد الله نيرانه من الأمام على البشر الموجودين أمامه .. وفتح بقية الضباط المشكلين نصف

حلقة نيران رشاشاتهم، وجاءت النيران من الأمام ومن الخلف ومن الجانب .. من كل يد تحمل سلاحاً في تلك اللحظة ..! أصيب الملك بعدة طلقات فتحت جمجمته وسقط في أحضان الأميرة هيام التي تهاوت أرضاً، وقد أصيبت برصاصة في فخذها .. وسقط عبد الإله قتيلاً وانصبت عليه نيران أكثر من فوهة نارية، وهو يتمرغ قتيلاً على الأرض .. ونالت الأميرة عابدية والملكة نفيسة حظهما من رصاص المهاجمين .. فتمرغتا أرضاً وهما تلفظان أنفاسهما الأخيرة .. وأصيب جندي الحرس محمد فقي بعدة طلقات نارية صرعته فوراً .. وجرحت الخادمة رازقية .. وقتل الطباخ التركي، وقتل أحد الخدم في نفس البقعة أيضاً.

التلذذ بالفشل:

وأصيب النقيب ثابت يونس بطلقة نارية اخترقت رئته اليمنى ونفذت، فهرب إلى جهة اليمين ومعه ضابطي صف من الانضباط الخاص، وسرعان ما واجههم أعداد المسلحين المختفين وراء القصر وأجبروهم على التسليم .. أما المقدم محمد الشيخ لطيف فقد قفز جانباً حائداً عن منهمر الرصاص، واستطاع الملازم أول ثامر الحمدان أن يلقي بنفسه بين الشجيرات، ويزحف أرضاً إلى ضفاف نهر الخر ويندس هناك بين جموع المهاجمين ويختفي دون أن يعرف أحد.

وأثار منظر الدماء وأصوات الطلقات النارية جنون ضابط المدرعة، ففتح نيران رشاشته الثقيلة على الأجسام الملقاة أرضاً .. فحرثها حرثاً وحاول الطفل جعفر اليتيم الذي كانت تربيه الأميرة عابدية أن يهرب إلى زاوية من زوايا القصر، إلا أنه سرعان ما عاجله الجنود برصاص بنادقهم فأردوه قتيلاً.

وعلى أثر هذا الرصاص المتناثر يمنة ويسرة أصيب النقيب مصطفى عبد الله بطلقة نارية في صدره. وسقط أرضاً والدم ينزف من جرحه .. وتهاوى بين

الشجيرات النقيب عبد الحميد السراج، وقد أصابته طلقة نارية في كعب قدمه .. وسقط ضابط صف برتبة رأس عرفاء قتيلاً من المهاجمين. أما الأميرة هيام فقد تمكنت من الزحف إلى ركن أمين وتقدم منها ضابط وحملها بيده حيث أخفاها في غرفة حرس الباب النظامي، والدماء تسيل من فخذها.

ثم كفت الإطلاقات النارية .. وكانت الجثث الميتة ملقاة أرضاً.

وتصايح الضباط، كل يريد أن يعطي فكرة أو طريقة للتخلص من الجثث. وسرعان ما جلبت سيارات نقل على أثرها الضابطان الجريحان من المهاجمين إلى المستشفى.

وفجأة سمع المتجمهرون إطلاقة نارية تأتي من الخلف من بين الأشجار .. فجن جنون الضباط ثانية وتناولوا رشاشاتهم وراحوا يفرغونها في الأشجار العالية المحيطة بالقصر .. لإتمام عملية التطهير .. ولهلع من جديد رصاص الرشاشات شاقاً السكون الذي ساد المكان أثر عملية القتل .. كأنما هو صرخات الموت الختامية وحشرجته في قصر الرحاب.

ثم جلبت سيارة من نوع بيك آب (فان) تابعة للقصر كانت تستعمل للمشتريات اليومية .. ورفعوا جثة الملك .. وأنزلوها في السيارة .. ووضعت الجثة على جنبها الأيمن مما جعل اليد اليسرى تتدلى خارج الباب .. ثم سحبت الجثة من يدها إلى الداخل.

ثم حملت جثث النساء .. فجثة عبد الإله .. وبقية القتلى .. وإلى هنا كانت جماهير الناس في الشارع قد دخلت حدائق القصر وانتشرت فيها .. وشاهد بعضهم الجثث، وهي تنقل إلى السيارة (الفان)، وتحركت السيارة نحو الطريق الخاص للقصر .. وهجم شاب ضخم الجثة يحمل بيده خنجراً، وانهال بطعنتين على جثة

عبد الإله.

وجيء بسيارة ثانية نقلت النقيب ثابت يونس المرافق العسكري الذي بدت عليه علامات الضعف والوهن إلى المستشفى العسكري .. حيث لفظ أنفاسه الأخيرة هناك.

أما الأميرة هيام والخادمة رازقية فقد نقلتا إلى المستشفى الحكومي الملكي حيث أعطيتنا العلاج اللازم وتم إنقاذ حياتهما.

وعندما خرجت السيارة التي كانت تقل القتلى .. وقفت في باب ثكنة الرحاب .. حيث أعيد رفع جثتي الأمير والملك، ووضعتا بسيارة جيب عسكرية ركب معها ضابطان.

أما سيارة البيك آب فقد توجهت بسرعة إلى دائرة الطب العدلي في المستشفى المدني، حيث ووريت جثث النساء في حفرة في مقبرة قريبة.

كانت السيارة التي تقل جثتي الملك والأمير .. تحاول أن تسير مسرعة وسط الزحام الشديد في الشارع، وحاول الضباط ألا يعرف أحد بأن سيارتهم تقل جثتين. إلا أنه سرعان ما فطنت الحشود الهائلة التي راحت تركض وراء السيارة، وقد شهرت المسدسات والخناجر والهراوات. وكانت أعداد من الجنود قد وقفت على جوانب الطريق المكتظ، وهم يطلقون نيران بنادقهم ابتجاهاً.

وفي قصر الرحاب .. هجمت جموع الجنود والمدنيين إلى داخل القصر المحترق .. وباشرت عمليات السلب والنهب في سباق مع اللهيب والنيران الآكلة .. واستمرت عمليات النهب يومين متتاليين على مرأى ومسمع من الضباط الذين كانوا في الحراسة هناك.

وتمت سرقة دار السيد عبد الجبار محمود زوج عمة فيصل .. بتسهيل من أحد

ضباط كتيبة الهاشمي من الحرس الملكي، وتم تهشيم وحرق سيارة الملازم أول ثامر خالد الحمدان التي كانت تقف أمام باب القصر .. وشاهدت جموع الغوغاء جثة الطباخ التركي .. ملقاة في الحديقة .. فوضعت الحبال في رقبته .. وسحل إلى الطريق العام، وألقيت الجثة أمام باب معسكر الوشاش حيث صبت عليها قوارير البترول من السيارات الواقفة جنب الطريق وأشعلت فيها النار .. وتركت هناك.

وكانت الجماهير خارج القصر .. قد هاجمت سيارة مدنية يركب بها شاب أجنبي .. وانهالوا عليه ضرباً وهشموا وجهه ورأسه وهو يبكي ويصرخ متوسلاً .. أنه لا ذنب له، ولا يعرف عن الموضوع شيئاً.

سارت السيارة التي تقل الجثتين، تتبعها الحشود الذي أخذت تنشد أهازيج الحماسة الشعبية .. وحالما .. وصلت إلى النقطة المواجهة لمبنى المحطة العالمية .. التفت حولها أعداد أخرى من الناس .. والكل يريد أن يلقي نظرة على الأموات.

موكب السحل:

وإزاء الضغط المخيف من الحشود المتلاطمة من المسلحين بالسيارة من كل جنب .. قام أحد الضباط برفع جثة الأمير من قدمه .. وسلم القدم إلى أقرب الموجودين إليه .. وسحبت الجثة من السيارة .. وألقيت أرضاً.

سقطت الجثة على ظهرها والدماء تلطخ القميص الأبيض الذي كان يرتديه عبد الإله .. وسرعان ما انهالت عليها الركلات بالأقدام .. وتناثر رشاش البصاق من أفواه المحيطين بها عليها.

انتهز الضابطان فرصة انشغال الغوغاء بجثة الأمير .. فأطلقا العنان لسيارتهم التي تحمل جثة فيصل .. وعبروا بها شوارع بغداد دون أن يشعر بهم أحد ..

وتوجهوا إلى وزارة الدفاع .. حيث أمروا بالتوجه بها نحو مستشفى الرشيد العسكري.

وفي المستشفى نقلت الجثة إلى إحدى غرف العمليات .. وسجي الجثمان على إحدى طاولات العمليات .. حيث قدم عدد من الضباط الأطباء وغيرهم .. ليلقوا نظرة على وجه فيصل .. وفتح أحد الأطباء جفني العين التي بدت جامدة لا حياة فيها .. وسأله ضابطان برتبة نقيب وصلا لتوهما من وزارة الدفاع .. فيما إذا كان الملك حياً .. أم ميتاً .. فأجابهم .. إنه ميت.

ولم تستطع الممرضات الموجودات في الغرفة أن يغالبن دموعهن وهن يتطلعن إلى وجه فيصل .. وقد خضبت الدماء محياه .. وشعر رأسه .. وتركن الغرفة إلى الخارج وهن ينشجن.

وفي مساء نفس اليوم .. حفرت حفرة قريبة من المستشفى في معسكر الرشيد .. وأنزلت فيها الجثة وأهيل عليها التراب .. ووضعت بعض العلامات الفارقة معها لتدل على مكانها فيما بعد .. واستمر التراب يغطي الجثة .. حتى تساوي مع الأرض .. ودك بالأقدام .. ولم تعد ثمة علامة في الأرض تدل على مكانها ولا يعرفها إلا الضباط الذين دفنوها ورفعوا بها تقريراً رسمياً إلى المسؤولين في وزارة الدفاع.

أما جثة الأمير عبد الإله .. فسرعان ما انقضت الأيادي على ملابسه وخلعتها .. حتى عري الجسد الذي بدا أصفر مائلاً للبياض من كثرة ما نزف من دماء.

وتصايحت الجماهير .. اجلبوا الحبال .. وبسرعة جلبت من الأكواخ المجاورة واللوريات الواقفة وربطت الجثة بحبلين واحد من الرقبة .. ومرر الآخر من تحت الإبطين .. وأمسك بطرفي الحبلين بعض الشباب وباشروا المسير .. والجثة العارية تسحل من ورائهم على الأرض.

وكلما تقدم موكب القتيل المسحول من قلب مدينة بغداد صادفتهم الجماهير الهاجئة القادمة لتلقي نظرة أو ضربة أو طعنة في الميت.

وما إن وصلت الجثة إلى قلب منطقة الكرخ وفي أكبر شوارعها إلا وكانت حشود بغداد الرصافة تحاول أن تعبر جسر المأمون الذي غص بمن فيه، وكذلك الشارع .. وأصبح من المتعذر المرور أو السير فيه.

تصايح الغوغاء .. فلنعلق الجثة:

وجلبت الحبال الغليظة .. وربطت بشرفة فندق الكرخ .. وبعد دقائق كانت جثة الأمير ترتفع معلقة في الهواء .. فصعد إليها حملة السكاكين والسواطير فبتر الذكر .. وفصلت الرجلان من الركبتين، وقطع الكفان من الرسغين، وألقيت إلى مجموعات من الفتيان والشبان الذين سرعان ما تلاقفوها .. وانطلقوا مهرولين بالأجزاء المبتورة عبر الشوارع والأزقة متجهين نحو الرصافة .. في صخب ولعب وضحك .. كأنهم في ساحة كرة القدم، وتقدم شاب في مقتبل العمر من الجثة المعلقة .. عرف فيما بعد أنه ابن أحد القواد العسكريين الذين أعدموا بعد حوادث ١٩٤١ وناولته الجماهير مسدساً ليطلق منه النار على الميت. إلا أن الشاب امتنع عن القيام بعمل كهذا.

وبقيت الجثة معلقة في مكانها زهاء العشرين دقيقة .. وتعالت الصرخات .. أنزلوها ولنكمل سحلها عبر الشوارع، وأنزلت الجثة .. وبوشر بالسحل ثانية، وعبروا بها جسر المأمون متجهين نحو شارع الرشيد الذي كان يغص بالناس وبالمتفرجين من الشرفات والنوافذ. وفي شارع الرشيد أصبحت الجثة هدفاً للحجارة .. وبدت طلائع الموكب الوحشي المرعب وهي تسير على لحن نشيد الله أكبر .. الذي كان يملأ الأسماع من الراديوات المنتشرة في مقاهي وأماكن الشارع.

كان الوجه قد تهشم تماماً، وقد مر أحد الحبال من بين الأسنان وشق الفم والوجهة اليمنى، وانكسر الفك وتدلى على جانب الوجه، وارتفع الوجه الأعلى فبانت الأسنان البيضاء في الوجه المشقوق. وبدت العينان مفتوحتين وهما تنظران نظرة الميت الجامدة .. ولم يبق من ملامح عبد الإله إلا الجبين الواسع وبعض الشعر الأسود الذي تعفر بتراب الشارع.

وبالقرب من وزارة الدفاع .. كانت جمهرة الساحلين أربعة فتيان .. لا يتجاوز عمر الواحد منهم الخمسة عشر عاماً، يبدو عليهم كأنهم تلاميذ مدرسة متوسطة يتبعهم صبية صغار .. حفاة الأقدام .. قذرو الملابس .. كلما تعب واحد من السحل، سلم الحبل لبديل من هؤلاء الأطفال والفتيان.

وعلى مسافة أربعة أمتار من الجهة المسحولة .. كان يسير موكب غوغاء بغداد .. وأوباشها .. وأغلقت النساء الشبابيك، وهن يبعدن أطفالهن عن التطلع إلى هذا المنظر الذي تجمد الأطراف لهول بشاعته.

وأخيراً وصل الموكب أمام مبنى البوابة الخارجية لوزارة الدفاع .. حيث وقف حشد كبير من الضباط والمراتب من مختلف وحدات بغداد لتقديم التهنئة والتأييد للثورة وللعقيد عبد اللطيف الدراجي الذي احتل وزارة الدفاع.

ولم يتحرك أي من الضباط أو الجنود من أماكنهم للتطلع إلى ذلك المنظر المقزز للميت المقطع الأوصال، بل لبثوا في أماكنهم، وقد ارتفعت أبصارهم وهم يحاولون النظر من بعيد.

وصلت الجثة الممزقة أمام وزارة الدفاع حيث يوجد قبالته مقهى كبير، وإلى جانب المقهى يقوم بناء قديم من طابقين .. وصعد أحدهم متسلقاً العمود الكهربائي المجاور للبناء، وعلق حبلاً في شرفة الطابق الأول حيث وقفت في تلك

الشرفة بعض النسوة والأطفال يتفرجن على الشارع .. وأدليت الحبال وربطت بها حبال الجثة .. وتصايح الواقفون .. ارفعوها .. وبعد لحظات كانت الجثة ترتفع ثانية معلقة في الهواء وقد اندلقت أمعاؤها، وتسلق عمود النور المجاور شاب يحمل سكيناً بيده، وطعن الجثة بالظهر عدة طعنات .. ثم أعمل سكينه في الدبر وراح يقطع اللحم صاعداً إلى فوق باتجاه الرأس .. ومن الشارع جلبت عصا طويلة بيضاء، أدخلت في الجثة ودفعت بها دفعاً .. والضباط والمراتب ينظرون إليها دون أن يتحركوا من أماكنهم، رغم أن علامات الامتعاض من هذه المناظر الوحشية كانت ترتسم على وجوههم جميعاً.

وكانت خاتمة المطاف لجثة الأمير عبد الإله أن تناوب عليها الغوغاء والأوباش .. وطافت أجزاؤها معظم شوارع بغداد .. أما ما تبقى منها إلى مساء ذلك اليوم .. فقد صبت عليها صفائح البترول، ثم حملت البقايا المحترقة .. وألقيت في نهر دجلة كما ابتلع نهر دجلة .. الأطراف التي كانت مبعثرة هنا وهناك في مساء وليل ذلك اليوم أيضاً.

وفي صباح اليوم التالي . كان قصر الرحاب ما يزال ينبعث من شرفاته ونوافذه دخان الحريق. وكانت عمليات نهب ما يحتوي تجري على قدم وساق .. تخرج منه أعداد كبيرة من الجنود والأهالي، وهم يحملون ما استطاعوا جمعه من متاع وأثاث.

نهاية الحرس الملكي:

أبدل اسم لواء الحرس الملكي باسم لواء المشاة الخامس والعشرين. وأنيطت قيادته بالعقيد نوري الراوي، أحد ضباط الحرس الملكي القدامى.

وقام الملازم أول عبد الله مجيد – آمر مفرزة التصليح في لواء الحرس الملكي (مرافق العقيد عبد السلام عارف فيما بعد) بمهمة تصفية لواء الحرس الملكي من

الضباط والمراتب والموالين للعهد السابق، أو الذين لا ترغب الثورة ببقائهم في صفوفها.

وتقدم هو وضباط الوحدات المهاجمة، فجمعوا كل ضباط الحرس الملكي في قاعة البهو لقصر الرحاب، ووضعوا عليهم الحراسة، وأمروا الجنود بعدم مغادرة الثكنة، ووضعت على مشاجب السلاح نقاط حراسة بقيادة ضباط مدرسة المشاة لإحباط أية محاولة قد يقوم بها أحد منتسبي الحرس الملكي:

وأحيل إلى التقاعد، واعتقل، وأخرج من الجيش، من ضباط الحرس الملكي كل من:

اللواء عبيد عبد الله المضايفي، العميد الركن محسن محمد علي، العقيد عبد القادر محمود، العقيد جميل خليل، المقدم جواد كناوي، المقدم حسين علي العبيدي، المقدم محمد الشيخ لطيف، المقدم حمدون سعيد، الرائد ماجد عبد الستار، النقيب الشهيد ثابت يونس (رحمه الله)، النقيب سالم رشيد، النقيب إبراهيم الطالبي، الملازم أول فاروق عبد الرحمن آل ياسين، الملازم أول سالم عبد الكريم النوري، الملازم فالح زكي حنظل.

أما العقيد طه مصطفى البامرني فقد عين مديراً لدائرة العقود والمبايعات في الجيش .. ثم لم يلبث أن عين بمنصب القائد العام لقوات المقاومة الشعبية التي حرست نظام عبد الكريم قاسم إبان المد الشيوعي في العراق، وانتهى بأن أحيل إلى التقاعد بعد ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣، حيث صار بعدها أحد قادة وحدات «البيشمركة» التابعة لثورة الملا مصطفى البارزاني في شمال العراق.

هذا ومن المفيد أن نذكر أنه في يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ كانت المحاولة الوحيدة التي قامت في الجيش لنصرة الأسرة المالكة في بغداد، هي في مقر قيادة الفرقة الأولى .

حيث اجتمع اللواء الركن عمر علي بالضباط والجنود في مقر الفرقة ووضع الوحدات كلها في الإنذار تمهيداً لزحف على بغداد، واجتمع بشيوخ ورؤساء القبائل، وكان أول من لبى النداء هو الشيخ علي الشعلان زعيم قبيلة الخزاعل. إلا أن المحاولة سحقت في ساعاتها الأولى ولم يكتب لها النجاح.

وثبت بعد جرد عتاد فوج الحرس الملكي الأول بعد تسليمه، بأن الفوج لم يطلق رصاصة واحدة، وللتاريخ يجب أن نسجل هنا أن رجال الحرس الملكي (جنوداً وضباطاً) لم يترك أحد منهم موضعه رغم هجوم وحدة النيران الموجهة إليهم، وقد حافظت الوحدة على ضبطها العالي إبان المعركة على الرغم من أن الأوامر كانت قد صدرت إليهم بعدم القتال، ورغم شدة الهجوم من الطرف المهاجم، إلا أن أياً منهم لم تنهر عزيمته أو يحاول الفرار أو الهروب من المعركة .. إلى أن أبلغوا بوجوب التسليم للثورة!..

قيادة عبد الإله :

لقد كان عبد الإله (رحمه الله) يدق المسامير في نعشه، ويهيئ هذا النعش (وقد مات بدونه) قبل ثمانية عشر سنة من مقتله. وفي يوم ١٤ تموز ٥٨ دق آخر مسمار في نعشه عندما تسلم قيادة قوات حرسه بنفسه .. وأصدر أمره الأول .. وكان عدم القتال حقناً للدماء .. ثم لم يلبث أن أصدر أمره النهائي والأخير وهو الاستسلام.

قد يجيب القارئ بأن من الممكن أن يكون عبد الإله قد أراد أن يدبر مكيدة أو ينصب كميناً للقوات المهاجمة، أو يحاور ويناور لكسب الوقت تمهيداً للقيام بهجوم معاكس لسحق الثورة؟

إن أي تلميذ عسكري مستجد يستطيع أن يدرك أن تعداد القوة المهاجمة للقصر

في النصف الأول من الساعة الأولى من الهجوم .. كان بالإمكان صده وتدميره بواسطة أي فصيل من فصائل الحرس الملكي، وفي نصف الساعة الثانية لم يكن يحتاج للسيطرة على أبواب ومخارج معسكر الوشاش لقوة تتجاوز القوة الموجودة في قصر الرحاب فقط.

وفي الدقائق التي تلتها كان بإمكان فوج الحرس الملكي أن يطهر منطقة الحارثية كلها، ويسيطر سيطرة كاملة على معسكر الوشاش .. وفي أسوأ الاحتمالات كان بإمكان الفوج اتخاذ موضع دفاعي وراء نهر الخر .. وإمساك جسر الخر بحيث يمنع عبور الآليات والمدرعات، ويظل يقاتل في معركة دفاعية إلى أن يشاء الله أمراً.

أما لو تدخل لواء الحرس بكامله في المعركة وسيطر على جانب الكرخ والإذاعة وقطع الجسور الحديدية الممتدة على نهر دجلة ما بين جانبي بغداد «الكرخ والرصافة» .. لأصبح للمعركة حكم آخر، وفي أسوأ الاحتمالات أيضاً فقد كانت الفترة الممتدة من الساعة السادسة إلى الساعة السابعة صباحاً الفرصة السانحة المتوفرة لعبد الإله كي يهرب والملك معه وبقية أفراد الأسرة المالكة حيث ينجو بجلده خارج العراق، إلا أن عبد الإله كان مدركاً تمام الإدراك بأنه قد انتهى، وأن لا مفر من الاستسلام للقدر. وهو في الغالب قد أراد أن يقلد والده المرحوم الملك علي عندما كان ملكاً على الحجاز عندما استسلم هو وقوته البالغة أربعة آلاف مقاتل أمام عدد يسير من المهاجمين السعوديين. وفضل أن يكسب من الغنيمة حياته على حساب عرشه.

لقد كان عبد الإله مدركاً بألا فائدة من المعركة هجوم أو معركة دفاع أو معركة انسحاب .. لقد أراد الاستسلام .. وفكر بالاستسلام منذ زمن بعيد .. ووجد في الرصاصات التي هشمت زجاج غرفة نومه أحسن فرصة يعلن فيها استسلامه

ورغبته في مغادرة العراق إلى حيث لا رجعة له، وارتكب غلطة مميتة عندما اعتقد بأنه سيخرج من أرض العراق كما خرج قبله ملوك وزعماء منفيون من بلادهم، ولم يكسبوا من ملكهم وزعامتهم .. إلا حياتهم.

وحسناً فعل عندما أمر بعدم القتال .. حقنا للدماء .. لأنه وعلى الأقل في آخر لحظة من حياته كان يدافع عن مبدأ يعتقد به .. وهو أنه يقاتل في معركة سيخسرها حتماً، فأبقى بذلك على دماء الألوف ممن كان مقدراً لهم أن يقتلوا ويموتوا بنيرانه .. وفدى دماءهم بدمه .. ودم فيصل وأفراد أسرته معه .. وهكذا، فما النصر إلا من عند الله .. وما الخير إلا فيما اختاره الله.

رواية ثانية
عن مقتل الملك فيصل الثاني والعائلة

لم يدر في خلد عبد الرزاق حميد حاجم ضابط الصف في الجيش العراقي أنه سيكون أحد شهود العيان القليلين على حادثة مقتل الملك فيصل الثاني في قصر الرحاب ببغداد صبيحة يوم ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ التي أنهت العهد الملكي في البلاد، وسجاناً فيما بعد لعدد من الشخصيات السياسية أبرزها أحمد حسن البكر الرئيس الذي حكم العراق ١١ عاماً بعد انقلاب عسكري جرى في سنة ١٩٦٨.

أصبح ضابط الصف عبد الرزاق، المتخرج في مدرسة الأسلحة الخفيفة (مدرسة المشاة) قبيل الثورة، من الشواهد الحية على اللحظات الأخيرة في حياة آخر ملك حكم العراق من العائلة الهاشمية وبداية انقلاب عسكري عرف في الأدبيات السياسية العراقية بـ «ثورة ١٤ تموز» التي قادت العراق إلى نظام الحكم الجمهوري للمرة الأولى في تاريخه.

وروى عبد الرزاق الذي يكنيه معارفه وأصدقاؤه في محافظة واسط حيث يسكن بـ (أبو ربيع) ذكرياته عن واقعة قصر الرحاب بادئاً بالقول «سأسرد لكم القصة بأكملها وأنا مسؤول أمام الله وأمام التاريخ وأمام الناس بأني سأسرد الحقيقة ولا شيء غيرها».

وقال أبو ربيع الذي يشارف عمره الآن على السبعين عاماً ومازال يعمل في استعلامات مبنى محافظة واسط أنه «في ليلة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ كنت حينها عريفاً مهذبا (ضابط صف) في مدرسة الأسلحة الخفيفة الكائنة مقابل قصر

الرحاب الملكي ضمن مجموعة معلمين في تلك المدرسة العسكرية بإمرة الرئيس الثاني (أي النقيب) عبد الستار سبع العبوسي وهو شاب وسيم على خده الأيمن شامة كبيرة، عصبي المزاج ومتهور أحياناً، ويتسم بالتسلط».

وأضاف وهو يسترجع ذكرياته وقد غزت التجاعيد وجهه وإن لم تؤثر السنين في جسمه المربوع «قبل أن يبدأ فجر يوم الرابع عشر من تموز أيقظنا النقيب ستار من نومنا نحن مجموعة ضباط الصف وقرر أن نكسر باب مخزن السلاح ونأخذ إطلاقتي مدفع عيار ١٠٦ ملم حيث كان هذا السلاح ينصب على سيارة عسكرية مكشوفة، وتوجهنا صوب القصر الملكي حيث الدبابات التي أحاطت بالمنطقة وعلى امتداد الشارع المؤدي إلى القصر مكونة طوقاً عسكرياً حوله». وأضاف «عند وصولنا وجه النقيب ستار المدفع صوب القصر ورمى إحدى الإطلاقتين، وكانت هذه أول إطلاقه مدفع في تلك الليلة دون أن يكون هناك رد من قبل حرس القصر سوى بإطلاقات من رشاشات خفيفة، وبعدها بلحظات بدأ إطلاق النار صوب القصر حتى بدأت ألسنة النار والدخان تخرج من نوافذ القصر الملكي».

وأردف ضابط الصف الذي يبدو بشعر رأسه وشاربه المصبوغين باللون الأسود أقل من عمره الحقيقي «دخلنا إلى حدائق القصر وخرج أحد الحرس الملكي، يدعى الرائد ثابت، وهو يصرخ على الثوار بقوله: ألا تخجلون .. إنكم تنتهكون حرمة ملك البلاد وهذا غير مسموح به! فجاءته إطلاقة فأردته قتيلاً ليكون أول ضابط يقتل في تلك الثورة وبعدها بدأ خروج موظفي القصر وهم يلوحون بمناديلهم البيض دلالة على استسلامهم فتم حجز الموظفين في إحدى حدائق القصر».

وتابع سرد قصته بطلاقة بحيث يبدو أنه رواها للكثيرين حتى أصبحت راسخة التفاصيل في ذهنه «في هذه اللحظات بدأ ضوء الصباح يشق طريقه معلناً بداية يوم

جديد تخلله خروج الملك فيصل الثاني ملك العراق وعلى جانبه خاله الوصي عبد الإله وعلى جانبه الآخر جدته الملكة عالية والدة الوصي وهم يحملون المصاحف، وعند نزولهم درجات السلم باتجاهنا وكانت الفوضى عارمة، خرج من بيننا النقيب عبد الستار العبوسي وهو يوجه سلاحه سترلنك أمريكي الصنع صوب العائلة وهو يصرخ ويقول بأعلى صوته وبهستيريا: لا تدعوهم يخدعونكم مطلقاً».

ويمضي بقوله ليصل إلى المفصل الأساسي «ثم بدأت إطلاقات سلاح العبوسي تتوجه صوب العائلة فسقطوا على الأرض وقضوا نحبهم، فكانت هولاً عظيماً بالنسبة لي فتوجهت ساعتها صوب الملك الشاب فإذا قطرات دمع تنزل من عينيه».

وأضاف بنبرة حزينة «في تلك اللحظات عم الهرج ودخل الجنود إلى داخل القصر فوجدوا طباخ الملك وبعض خدمه مقتولين داخل مطبخ القصر من جراء القصف، فتوجه أحد الضباط وأخذ جثة الوصي عبد الإله إلى جهة وأخذ ضابط آخر جثتي الملكة والملك إلى المقبرة الملكية».

وتابع «جاء للقصر آمر لواء الحرس الملكي العقيد طه البامرني وأمر جماعته أن يلقوا السلاح وينضموا تحت لواء الثوار وبدأ يهتف بحياة الزعيم عبد الكريم قاسم حيث كان الزعيم يقود الثورة من مقر وزارة الدفاع، وبدأ أفراد لواء الحرس الملكي بتسليم أسلحتهم، وجاءت الأوامر أن نشيع الخبر بين الناس بأن الوصي هو الذي قتل الملك لأنه حاول أن يسلم نفسه للثوار وذلك كي لا تتسم الثورة بسمة الثورة الدموية».

ويستذكر أبو ربيع أحد المواقف التي مرت به قائلاً «كنت أتفحص الحديقة المجاورة للقصر الملكي برفقة أحد المعلمين وكان اسمه العريف مول، وهو من سكنة محافظة أربيل، فانتبهنا إلى أن هناك امرأة شابة تزحف بين الأشجار والأزهار

فحملنا المرأة وأخبرنا أحد ضباطنا من الذين يوصفون بطيبة القلب فأخذ تلك المرأة وأوصلها إلى أحد أقاربه ومن ثم إلى عشيرتها، وتبين أن تلك المرأة هي زوجة الوصي عبد الإله خال الملك».

ومضى يقول : «قرر النقيب ستار أن نرافقه في مهمته التي لم يفصح عنها فكانت جولتنا إلى مقر الإذاعة حيث كانت الشوارع تكتظ بالمتظاهرين والمحتفلين بالثورة، وعمت الإشاعة (الي تقرر ترويجها) وسمعنا من المتظاهرين أن الوصي قتل الملك، ووصلنا إلى مقر الإذاعة فأمرني النقيب ستار أن أبقى خارج الإذاعة في انتظاره في وقت كان عبد السلام عارف يلقي خطابات الثورة من داخل مقر الإذاعة التي كانت مقراً لكبار الدبلوماسيين والرتب العسكرية العالية المتخذين كرهائن داخل الإذاعة».

ويستمر في حديثه قائلاً : «وبعد لحظات من دخول النقيب ستار إلى الإذاعة خرج عبد السلام عارف وبدأ بتعريف نفسه للمتظاهرين، وبين للناس أن قائد الثورة هو الزعيم عبد الكريم قاسم وقد انتهى الحكم الملكي معلناً بداية حكومة جمهورية».

وعبد السلام عارف أحد أبرز المشاركين في إنهاء العهد الملكي في العراق فيما عرف بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وسجن بعد أشهر من الثورة على إثر خلاف نشب مع زعيم الثورة عبد الكريم قاسم، لكنه أصبح فيما بعد رئيساً للجمهورية بعد انقلاب عسكري أودى بحياة قاسم، جرى يوم ٨ شباط فبراير ١٩٦٣ بشراكة لم تدم طويلاً من حزب البعث العربي الاشتراكي (المنحل الآن).

ويردف ضابط الصف قائلاً : «كان ذلك حوالي الساعة العاشرة أو الحادية عشرة من صباح يوم الثورة، ثم توجهت مع النقيب ستار إلى بيت رئيس الوزراء نوري سعيد حيث كان مسكنه يطل على نهر دجلة فدخلنا البيت فوجدناه قد نهب وسلب

ما في داخله وتوجهنا إلى ممر طويل في داخل البيت يؤدي إلى ميناء صغير يحتوي على زوارق».

وأضاف «تبين أن نوري سعيد استطاع الهرب من هذا الميناء الصغير بواسطة أحد زوارقه متجهاً إلى منطقة الكاظمية إلى بيت صديقه التاجر الحاج أحمد الاسترابادي الذي اعتقل لفترة دامت حوالي أسبوع بسبب علاقته بنوري سعيد، وكان رجلاً مسناً».

ويعبر أبو ربيع عن خيبة أمله وزملائه وهو يتطلع إلى صورة له غير واضحة المعالم قال : إنها التقطت في معرض للآليات المشاركة بالثورة جرى تنظيمه في العام ١٩٥٩ «عدنا إلى القصر الملكي وتم توزيع الواجبات علينا بحراسة القصر وشاع خبر بأن مجموعة النقيب ستار سينالهم تكريم الزعيم عبد الكريم قاسم بمنح رتبة ملازم لكل عريف وذلك تقديراً للبطولة التي قام بها النقيب ستار بقتله الملك وعائلته».

واستدرك «كانت المفاجئة أكبر من أمنياتنا وخاب أملنا عندما غضب الزعيم بسبب مقتل الملك وعائلته، وأمر بتجريد النقيب ستار من جميع صلاحياته، ونقلنا مع النقيب ستار للعمل في سجن الموقف في باب المعظم (وسط بغداد حالياً) مقابل وزارة الخارجية حيث اصبح النقيب ستار معاوناً لآمر السجن أنور عبد القادر الحديثي».

لم تكن هذه الانتقالة غير السارة لضابط الصف عبد الرازق خاتمة لقصته مع شخصيات قدر لها أن تسهم في صنع التاريخ السياسي للعراق المعاصر، فقد أصبح في موقعه الجديد سجاناً لعدد من الشخصيات السياسية أبرزها أحمد حسن البكر الرئيس الذي حكم العراق ١١ عاماً بعد انقلاب عسكري قام به حزب البعث

العربي الاشتراكي (المنحل الآن) سنة ١٩٦٨ ضد الرئيس عبد الرحمن عارف شقيق عبد السلام عارف الذي قتل في حادثة تحطم طائرة سنة ١٩٦٦.

ويقول شاهد العيان عن هذه الفترة أن «العمل في المعتقل له شواهد تاريخية أخرى فقد كان المعتقل يضم كلاً من العقيد أحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش، وكان البكر يرسلني لشراء التبغ الخاص به وبسعر باهظ الثمن (آنذاك) حيث كانت العبوة الواحدة من التبغ سعرها ٣٠٠ فلساً (الدينار العراقي يساوي ألف فلس) ويسمى تبغه الخاص تتن أبو الريحة، وأصبحت علاقة حميمة بيننا». وعن ذكرياته مع البكر يضيف أنه «كان متهماً بالاتصال مع ضباط في إيطاليا للحصول على أسلحة للإطاحة بنظام عبد الكريم قاسم بعد الانشقاق الذي حصل بين عبد السلام عارف والزعيم، وتكونت علاقة حميمة بين آمر المعتقل أنور الحديثي الذي كان يملك أفكاراً قومية وأصبح فيما بعد سكرتير مجلس قيادة الثورة في حكومة البعث فيما بعد».

ويضيف أبو ربيع «كان في ضيافة المعتقل أيضاً كل من مالك سيف مسؤول الحزب الشيوعي ومجموعة من الإعلاميين الإذاعيين، هم كل من كاظم الحيدري وناظم بطرس ومحمد علي كريم وهادي النورس ورئيس تحرير جريدة الحوادث عادل عوني، ومجموعة من شيوخ العشائر منهم الشيخ عبد الرزاق علي سليمان شيخ الدليم والشيخ غازي على كريم شيخ من سامراء ونائب برلمان وهو أحد أصدقاء الوصي، كذلك الشيخ أحمد عجيل الياور الذي منحني فراشه الأسفنجي عند خروجه من المعتقل، والشيخ محمد العريبي وآخرون أنساني الدهر أسماءهم».

وتابع «الذين تم حكم الإعدام بحقهم هم كل من وزير الداخلية سعيد قزاز ومدير الأمن العام بهجت العطية ومتصرف بغداد عبد الجبار فهمي ومدير أمن

بغداد عبد الجبار أيوب الذين أدينوا بتهمة تعذيب السجناء وإطلاق العيارات النارية على سجناء معتقلي بغداد والكوت في عام ١٩٥٢».

«دارت الأيام وأصبح أحمد حسن البكر في منصب رئيس الجمهورية وأصبحت في حينها حرساً في استعلامات القصر الجمهوري، وصادف أن شاهدني أحمد حسن البكر في الاستعلامات فأمر بنقلي من ذلك المكان».

ويضيف أن «النقيب ستار أصبح من رجال الحكومة البعثية وتم إرساله إلى دورة في روسيا ومن ثم انتقل للعمل في البحرية في محافظة البصرة، ولكن القدر لم يدعه فكتب رسالة انتحار يوصي فيها بأهله وعياله من بعده موضحاً خلال الوثيقة أن أهم شيء دفعه لعملية الانتحار هو تأنيب الضمير من جراء مقتل الملك وعائلته التي لا تفارق مخيلته».

ويختم ضابط الصف كلامه واصفاً الحادثة التي شكلت المفصل الأهم في حياته كلها بقوله «هذه الحادثة بقيت في ذاكرتي أعيشها كل لحظة، وتبدأ دموعي بالتساقط عندما أتذكر طريقة مقتل الملك فيصل».